بسم الله الرحمن الرحيم

ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي
العدد السادس عشر . شعبان ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م

نادي أبها الأدبي - أبها - ص.ب ٤٧٨ - تليفون : ٠٧٢٢٤٤٢١٠. / ٠٧٢٢٦٣٥٩٧.
فاكس : ٠٧٢٢٦٢١٦٥. - المملكة العربية السعودية
PUBLISHEDBY ABHA LITERARY CLUB P.O Box : 478 Tel : 072244210 \ 072263597
Fax : 072262165 ABHA . SAUDI ARABIA

رقم الإيداع: ١٤/٠٠٥٣
ردمـــك : ٠٣٥٠ - ١٣١٩ ISSN



محتويات ملف بيادر العدد (١٦)

إشارات

المشرف العام

* هذا هو العدد الثاني من (بيادر) في مرحلتها الفصلية الجديدة ، نحرص على الإلتزام بصدورها - رغم كل المعوقات - وفاء بوعد قطعناه على أنفسنا .

* وبالمقابل نتمنى على الكتبة والكاتبات أن يقوموا بالواجب تجاه هذه المطبوعة وعمارتها بالعطاء والإبداع .

* وما دامت الحياة أخذاً وعطاءً فلابد من تفاعل جاد بين المطبوعة وقرائها ونقدتها وكتابها حتى تتحقق الفائدة المرجوة .

* طموحاتنا تصل إلى أن يصدر هذا الملف الثقافي الإبداعي شهرياً ولكن هذا الأمل مقرون بتوفر المادة التحريرية . . التي يملكها الآخر . . ونأمل أن يسهم بها باستمرار .

* التميز الواضح في هذا العدد أن نسبة كبيرة من المشاركين فيه أسماء جديدة تبرز إلى الساحة بثقة واعتداد .

* مواصلة الاهتمام بالأصوات الواعدة أمر يحمد لأسرة التحرير ويطلب منها المزيد في هذا المجال .

الافتتاحية

رئيس التحرير

الافتتاحية

* الحمدلله وحده والصلاة والسلام على نبي الهدى . . أما بعد :

فهذا هو العدد السادس عشر من ملف بيادر الذي يصدر عن نادي أبها الأدبي في سلسلة أعداده المتتابعة والتي يؤمل في استمراريتها التطور والنجاح ، ومن المؤكد أن ارتباط هذا الأمل والاستمرارية بخصيصة هامة يعيها الصادقون المنصفون ويدركونها ، تلكم هي العزيمة الصادقة في النهوض بالأمانة جميعاً تجاه عقيدتنا وما يرفع من شأن بلادنا الغالية في ظل حكومتنا الرشيدة وولاة أمرنا (يحفظهم الله) ، كما أننا نعمل ونسعى إلى تحقيق المفاهيم الإسلامية ، ودفع ومحاربة الأفكار الزائفة المضللة ، إلى جانب نشر الدراسات والمقالات المفيدة والهادفة ، وفتح الباب للمواهب الإبداعية والفنية القادرة ، فضلاً عن إفساح المجال لنشر الدراسات النقدية والحوارات والتحقيقات الهامة والمفيدة .

والناظر في هذا العدد سيجد التنوع إلى حد ما في مادته العلمية ، فهناك بعض البحوث المختلفة في المضمون والشكل ، إلى جانب القصة والشعر ، ثم قضية ورأي فالاستراحة في رياض الأدب ، ثم أقلام واعدة فقراءة في كتاب ثم بين بيادر وقرّائها . ولا ندعي الكمال فيما وصلنا إليه وإنما لا زلنا نتطلع إلى الأفضل ، والطريق لازال أمامنا طويل ، وسنعمل ما في وسعنا لنصل بهذا الإصدار إلى المستوى الجيد (إن شاء الله) ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾(التوبة ١٠٥) .

وإلى جانب ما طرح على صفحات هذا الملف من موضوعات ، فإننا أيضاً سوف نناقش في كل إفتتاحية من هذا العدد والأعداد التي تليه موضوع واحد يكون له علاقة ببلادنا وحياة مجتمعاتنا . وموضوعنا في هذا العدد هو التعليم ، فالناظر المدقق لواقع التعليم المعاصر في بلادنا يجد تطوراً هائلاً طرأ على هذا المرفق الهام ، كما أنه سيدرك أسباب هذا التقدم ، فلقد مَنّ الله على هذه البلاد الغالية بحكام راشدين يسعون للنهوض بالعلم والتعليم ، والاهتمام بشئون المواطن في المجالين

التربوي والتعليمي ، حيث قاموا بإنشاء المدارس والمعاهد المتنوعة في تخصصاتها ومجالاتها ، وسعوا إلى تزويدها بأفضل الأثاث والإمكانات والأجهزة الهامة لممارسة مهنة التعليم ، كما عطفوا على طلبة العلم والمعلمين فوفروا لهم كل ما يحتاجونه في مواصلة تعلمهم وتعليمهم ، أيضاً أسسوا الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا وعملوا على تطويرها حتى أصبحت تضاهي مثيلاتها في البلدان المتقدمة .

وما يشاهد الواحد منّا من تعدد المعاهد والمدارس والجامعات ومراكز البحوث والكليات المدنية والعسكرية سوى دليل ملموس على هذا الواقع العلمي المهم الذي نعيشه . وحيث أن هذا النهوض العلمي قد ساد بلادنا الغالية فإنه يجب علينا يا معشر المتعلمين والعاملين في قطاع التعليم أن نراعي أموراً عديدة تساعدنا في أداء مهمتنا على الوجه السليم والمطلوب ، وقد يصعب علينا حصرها في هذا الحيز الضيق ، ولكن نشير إلى البعض منها على النحو التالي :

١ - يجب على المعلم في أي مرحلة من مراحلة التعليم أن يتحلى بالصفات والأخلاق الحميدة ، فيكون قدوة حسنة لنفسه وللآخرين من زملائه وطلابه وعامة الناس وخاصتهم ، كما يجب عليه أن يكون قوياً متمكناً في مادته العلمية ، وهذا لا يحدث إلا بالمثابرة والقراءة والاطلاع ثم الاهتمام بكل ما يرقى بمستواه الفكري والعلمي .

٢ - تشجيع الطلاب على الاطلاع والتثقيف الذاتي ، إذ أن كثرة الكماليات في عهدنا الحاضر جرفت طلاب العلم عن القراءة والاطلاع ، وبالتالي أصبح الطالب لا يقرأ إلا في الساعات السابقة للإمتحان ، وبعد الإنتهاء لا يعود إلى الاطلاع ولا يفكر فيه ، وهذه الظاهرة تنطبق على كثير من المعلمين فتجدهم لا يطّلعون على وجه الإطلاق وعهد الكثير منهم بالقراءة يوم أن كان طالباً في المدرسة أو المعهد أو الجامعة . ومثل هذه الصفات السلبية التي نلمسها الآن في مؤسساتنا التعليمية وبين أساتذتنا وطلابنا لا نجدها عند رعيل المسلمين الأول من طلاب العلم. ومن المؤكد أن ذلك الجيل كانوا أقل مستوى في الماديات

واللوازم الضرورية لحياتهم، لكنهم كانوا أحسن حالاً في طلب العلم والاجتهاد والمثابرة والحرص على الاستفادة من كل ما هو مفيد .

٣ - كما يجب على المسئولين في أجهزة التربية والتعليم إعادة النظر باستمرار في المناهج التعليمية ، وتطوير الوسائل المعنية ، وتطوير أداء المعلم ، والاطلاع على كل ما هو جديد وحديث في مجال العملية التعليمية .

٤ - ضرورة الاهتمام باللغات سواء اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم ، ولغة التخاطب بين شعوب الدول العربية الشقيقة ، حيث يلاحظ تدهور مستوى الأساتذة والطلاب في هذه اللغة ، وأيضاً اللغات الأجنبية حتى يمكن الاطلاع على المؤلفات الأجنبية ، وحتى لا نكون في غفلة عما يحدث من حولنا وحتى نسرع من إيقاع حياتنا وتقدمنا .

٥ - أوصي نفسي وزملائي العاملين في مجال التربية والتعليم أن يراقبوا الله في السر والعلانية فيخلصوا في أداء رسالتهم التي هي من أصعب الرسالات ، ويوجهوا طلابهم الوجهة السليمة المنطلقة من اتخاذ كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، كما أوصي أولياء الأمور من آباء وأمهات أن يراقبوا الله في أبنائهم فلا يتركونهم بالإنشغال في ملذات الدنيا ، وأن يحرصوا على تقويمهم والأخذ بأيديهم إلى طريق الصواب لأنهم عماد الأمة وجيل المستقبل . كما أوصي اخواني وأبنائي من الطلاب أن يتحلّوا بالصفات الحسنة وأن يحرصوا على الاستفادة من الوقت وصرفه فيما يضر ولا ينفع ، وأن يجتهدوا على مصاحبة الأخيار من الأصحاب والزملاء الذين يذكرونهم بالله إذا نسوا ، وأن يحرصوا علي القراءة والاطلاع فيما يفيدهم ويأخذ بأيديهم إلى المعالي .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

د. غيثان بن علي بن جريس

البحوث

الفقه في عصر الصحابة
(رضي الله عنهم)

د. عبدالعزيز محمد شرف الدين

يمتد هذا العصر من بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وتولى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - الخلافة بعده إلى رأس المائة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم في آخر عمره لأصحابه :

« أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد » متفق عليه .

ولفظه : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول قبل أن يموت بشهر : «أقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»[1] .

ويقول صاحب طبقات الفقهاء : وانقرض عصر الصحابة ما بين تسعين إلى مائة سنة .

قال الواقدي : آخر من مات من الصحابة بالكوفة عبدالله بن أبي أوفى سنة ٨٦هـ، وآخر من مات بالمدينة من الصحابة سهل بن سعد الساعدي سنة ٩١هـ ، وهو ابن مائة سنة ، وآخر من مات من الصحابة بالبصرة أنس بن مالك سنة ٩١هـ وقيل سنة ٩٣هـ ، وآخر من مات بالشام من الصحابة عبدالله بن يسر سنة ٨٨هـ ، وكان أبو الطفيل عامر بن وائلة - رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكان آخر من رآه موتاً ، مات بعد سنة مائة[2] .

- وعلى هذا ، فهذا العصر يشمل المدة من وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم -

إلى ولاية عمر بن عبدالعزيز - يرحمه الله - من خلفاء الدولة الأموية وإن كان ينقسم إلى قسمين :

١ - عصر الخلفاء الراشدين . ٢ - عصر صغار الصحابة

ونريد الآن أن نتعرف على سمات الفقه في هذا العصر - كما تعرفنا على لمحات من الفقه في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - في العدد الماضي - .

لقد توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تاركاً وراءه أصحابه الذين عاشروه في حياته ، وشاهدوا أفعاله بأعينهم ، وسمعوا أقواله بآذانهم والذين كانوا يسألونه في مسائلهم فيجيبهم ، ويستفتونه في الوقائع فيفتيهم ، ويعرضون عليه قضاياهم فيحكم فيها[٣] .

يقول ابن القيم : ثم قام بالفتوى بعد الرسول برك الإسلام[٤] وعصابة الإيمان ، وعسكر القرآن ، وجند الرحمن أولئك أصحابه - صلى الله عليه وسلم - ألين الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأحسنها بياناً ، وأصدقها إيماناً ، وأعمقها نصيحة ، وأقربها إلى الله وسيلة[٥] .

وهو ما اقتبسه ابن القيم - رحمه الله - من ابن عمر - رضي الله عنهما - إذ يقول فيهم : «أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ونقل دينه . . . فتشبهوا بأخلاقهم ، وطرائقهم فهم أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة[٦] .

فقهاء الصحابة :

ولا مراء في فضل الصحابة على سائر الأمة ، فهم سادتها وأئمتها ، وقادتها وهم الذين فازوا بصحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضوان الله تعالى عليهم . . . إلا أنهم يتفاوتون في الفقه والفتوى .

يقول ابن خلدون :

ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ،

وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن ، والعارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه ، وسائر دلالته مما تلقوه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو ممن سمعه منهم من عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك «القرّاء» أي الذين يقرءون الكتاب ، لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لقرائته يومئذ ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة(٧) .

وهذا ما ذهب إليه ابن القيم - رحمه الله - عندما قسّم الصحابة بالنسبة إلى الفتوى إلى ثلاثة أقسام فقال :

والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مائة ونيف وثلاثون نفساً ، ما بين رجل وامرأة . وكان المكثرون منهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر .

وقال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم .

قال أبو محمد : والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا : أبو بكر الصديق ، وأم سلمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبدالله بن الزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن عبدالله ، ومعاذ بن جبل .

فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يجمع من فتيا كل منهم جزء صغير جداً . ويضاف إليهم طلحة ، والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمران بن حصين ، وعبادة بن الصامت ومعاوية بن أبي سفيان .

والباقون منهم مقلون في الفتيا ، لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان ، والزيادة اليسيرة على ذلك ، ويمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث . وهم يزيدون على المائة قليلاً(٨) .

وعلى هذا الرأي فجملة الصحابة وإن كانوا فضلاء فلم يكونوا كلهم فقهاء حيث يغلب على الكثير منهم الأمية . . ولكن هذه الأمية وإن كانت أمية القراءة والكتابة فلم

تكن أمية الجهل وعدم الفهم ، فقد كانوا في جملتهم يفهمون خطابات الشارع ، ويعونها ، ويعملون بها في خاصة أنفسهم وإن كانوا لا يستطيعون أن يفتوا فيها غيرهم .

ويقول الشيرازي : إن أكثر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين صحبوه ولازموه كانوا فقهاء وذلك أن طرق الفقه في حق الصحابة خطاب الله تعالى ، وخطاب رسوله - صلى الله عليه وسلم - وما عقل منها وأفعال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما عقل منها .

فخطاب الله - عز وجل - هو القرآن . . . وقد أنزل ذلك بلغتهم ، وعلى أسباب عرفوها ، وقصص كانوا فيها ، فعرفوا سطوره ومفهومه ومنصوصه ، ومعقوله ولهذا قال أبو عبيدة في كتاب «المجاز» (مجاز القرآن) فلم يحتج السلف ، ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي -- صلى الله عليه وسلم - أن يسألوا عن معانيه ، ولم ينقل أن أحداً من الصحابة رجع في معرفة شيء من القرآن إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . . .

وخطاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلغتهم ، يعرفون معناه ، ويفهمون منطوقه وفحواه ، وأفعاله التي فعلها من العبادات ، والمعاملات ، والسير والسياسات ، وقد شاهدوا ذلك كله ، وعرفوه وتكرر عليهم ، وتبحروه ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم[٩] اهتديتم» ولأن من نظر فيما نقلوه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أقواله ، وتأمل ما وصفوه من أفعاله في العبادات وغيرها اضطر إلى العلم بفقههم وفضلهم ، غير أن الذي اشتهر منهم بالفتاوى والأحكام، وتكلم في الحلال والحرام جماعة مخصوصة[١٠] .

فتلخص لنا من كلام هؤلاء الأئمة أنه لا شك في عدالة الصحابة وأنهم في جملتهم فقهاء . حيث تعلموا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفهموا عنه ، وعاشوا بعده حتى احتيج إليهم . . . وكونوا أعظم مدرسة فقهية في تاريخ الفقه الإسلامي على امتداد عصوره كلها ، وكانت هذه المدرسة متعددة المناهج ، مختلفة الاتجاهات ، فكانوا بين ميسر ومعسر ومكثر ومقل ، وجريء وهياب ، ومتمسك بالنص في ظاهره وقاصد إليه في معناه والغاية منه ، إلى غير ذلك من الاتجاهات .

وقد انتشر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته في البلدان

ينشرون الإسلام وأخذ الناس يرجعون إليهم في الوقائع والمسائل ويستفتونهم فيجيبونهم كل حسب حفظه ، أو ما أدى إليه اجتهاده ، لا يألو جهداً في موافقة الشرع الكريم ، وتلقي الناس هذه الآراء بالقبول والرضا ، وهنا كثرت آراء الصحابة بالأمصار المختلفة وليس من شك في أنه كان للبلاد المفتوحة أثر في اجتهاد الصحابة بسبب تنوع القضايا ، واختلاف المسائل ، وتعدد الصور .

وقد بدأت رحلة الصحابة الفقهاء إلى الأمصار الإسلامية في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث أرسل بعضهم إلى اليمن وإلى البحرين . . وإلى مكة ، وتوالت رحلات هؤلاء الفقهاء إلى البلاد المفتوحة معلمين ومرشدين .

- فنزل علي بن أبي طالب ، وعبدالله بن مسعود بالكوفة ، ونزل أبو موسى الأشعري بالبصرة ، وكذلك أنس بن مالك ، ونزل بالشام معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وهكذا انتشر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نواحي الدولة الإسلامية إلا أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يميل إلي استبقاء كبار فقهاء الصحابة بالمدينة للاستعانة بهم في الفتيا عند عرض المشكلات والحيلولة بينهم وبين الاشتغال بالحياة الدنيا ومظاهر الحكم .

ومن هنا فقد كان للمدينة المنورة - عاصمة الإسلام الأولى - مركز الثقل في الحركة الفقهية فكانت أكثر علماً وأوفر شهرة من كل هذه المراكز الفقهية التي نشأت في البلدان الإسلامية[١١] .

طريقة الصحابة في استنباط الحكم :

عن ميمون بن مهران قال : «كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به ، فإن أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى فيه بقضاء ؟ فربما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه بكذا وكذا ، فإن لم يجد سنة سنها النبي - صلى الله عليه وسلم - جمع رؤساء الناس فاستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به .

وكان عمر يفعل ذلك : فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل : هل كان

أبو بكر قضى فيه بقضاء ؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به وإلا جمع علماء الناس ، واستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به[١٢] .

ومن هنا كانت أغلب قضايا عمر متبعة عند الناس من غير أن يجدوا فيها شدة وعسرا .

وكان لعلي بن أبي طالب طريقة في استنباط الحكم على خلاف طريقة عمر من جهة أن عمر كان يشاور الصحابة ويناظرهم حتى ينكشف له الأمر - بخلاف عَليٍّ فقد فُتح بابُ الفتنة في عهده وانشغل بالحرب بينه وبين خصومه فلم يتح له ما أتيح لعمر ؛ هذا وقد كان رضي الله عنه محل شورى أبي بكر وعمر فكانا يرجعان إليه في كثير من القضايا ، بل كان يصوب لعمر ، ومن هنا قيل : قضية ولا أبا حسن لها ، وكانت أكثر قضاياه بالكوفة ، ولم يحملها إلا أناس قليلون .

ويرجع هذا إلى أن متطرفي الشيعة أدمجوا في تعاليمه كثيراً من الكذب وحرّفوها ، ولهذا فإن أهل السنة المحدثين لم يعنوا بأحاديثه وفتاويه وأخذوا منها فقط ما جاء عن طريق أهل بيته ، وأصحاب ابن مسعود . . كعبيدة السلماني ، وشريح ، وأبي وائل ونحوهم ، وكان رضي الله عنه وكرم وجهه يشكو قلة حملة العلم الذي أودعه كما قال : إن ههنا علما لو أصبت له حملة[١٣] .

أما طريقة ابن مسعود الفقهية فيحددها في كلمته :

«من عرض عليه قضاء فليقض بما في كتاب الله ، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ، ولا قضى به نبيه - صلى الله عليه وسلم - فليقض بما قضى به الصالحون ، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ، ولا قضى به نبيه - صلى الله عليه وسلم - ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه : ولا يقل : إني أرى ، وإني أخاف فإن الحلال بيِّن والحرام بيِّن ، وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك إلى مالا يريبك»[١٤] .

وهذه الطريقة هي طريقة عمر ولذلك فإنه كان يقول : لو سلك الناس وادياً وشعباً ، وسلك عمر وادياً وشعبا لسلكتُ وادي عمر وشعبه ، وقد أرسله عمر إلى الكوفة ليعلم أهلها ويفقههم وفي الكوفة - كان له أصحاب وتلاميذ نشروا مذهبه[١٥] .

- أما عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد كانت من فقهاء الصحابة وكانت على علم بالفرائض وبأمور الفقه الأخرى .

روى هشام عن أبيه قال : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ، ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة[١٦] .

وقد امتازت بمعرفتها الفقهية في الشئون التي تتعلق بالحياة الداخلية الخاصة لمعاشرتها للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولهذا كان مشيخة الصحابة يسألونها عن هذه المسائل .

ومن هؤلاء الصحابة المتميزين في الفقه بطرائقهم وآرائهم عثمان بن عفان ، وزيد ابن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وأبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وابن عباس ، وابن عمر ، وغيرهم - رضوان الله عليهم - أجمعين .

وإذا أردنا أن نجمل هذه الطريقة في استنباط الأحكام الفقهية دون ارتباط بشخص واحد من الصحابة فإننا نقول :

أولاً :

إن الصحابة رضوان الله عليهم قد ساروا على نهج ما كان يحدث في أيام الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - من عدم محاولة وضع حكم لأمر إلا عند حدوثه بالفعل .

ثانياً :

أنه عند عروض أمر يحتاج إلي معرفة حكمه ما كانوا يلجأون إلى الرأي -- إلا عند عدم وجود نص . . . وفي لجوئهم إلي النصوص كانوا يجعلون القرآن في المنزلة الأولى . . . ثم تأتي في المرحلة الثانية عندهم السنة .

أما الرأي فمع أنهم كانوا لا يلجئون إليه إلا اضطراراً عند عدم وجود النص فإنه كان مبنياً على الشورى إذا كان سيصدر به حكم ، أما إذا كان سيصدر على سبيل الفتوى فلا يلزم فيه ذلك .

ولذا فإن ما عرف عنهم من الشورى فهو منسوب إلى الخلفاء الذين بيدهم السلطة

في القضاء والحكم ، وإلى من ينيبونهم عنهم من حكام الأقاليم والقضاة .

وقد جعلوا للرأي المجمع عليه والذي سمي فيما بعد بالإجماع حجة ملزمة بحيث لا يسوغ لأحد مخالفته[١٧] أ.

إجماع الصحابة واختلافهم :

كان الشيخان - أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما ، إذا استشارا جماعة من الصحابة - رضوان الله عليهم - في حكم فأشاروا فيه برأي تبعه الناس ، ولا يسوغ لأحد أن يخالفه ، وسمى إبداء الرأي بهذا الشكل إجماعاً .

- وكان عدد المجتهدين من الصحابة إذ ذاك - محصوراً يمكن استشارتهم والاطلاع على نتيجة آرائهم ، فكان الإجماع ميسورا[١٧] ب .

وكان نتيجة ذلك قلة الخلاف في الأحكام ، فإنها إما أن تصدر عن كتاب محكم ، أو سنة متبعة معروفة ، وإما أن تصدر بعد استشارة وعدم الخلاف في هذه الثلاثة واضح . فلم يبق من سبب للخلاف إلا صدور الفتوى عن اجتهاد ونظر ، وكان اعتمادهم على ذلك قليلاً ، فلم تكن الفتوى عندهم مما يستهان به ، بل كان يحيل بعضهم على بعض خوفاً من القول به[١٨] .

وليس من غرضنا أن نذكر جميع ما اختلفوا فيه ، وإنما نريد أن نسوق أمثلة توضح أسباب الخلاف ، مع قرب العهد برسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

الأول :

اختلاف الحكم بسبب الاختلاف في فهم القرآن ، وذلك من وجوه :

أ - من ورود لفظ يحتمل معنيين ، كاختلافهم في فهم القرء يقول الله تعالى :

﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قرء﴾[١٩] .

فقالت عائشة : الأقراء : الأطهار ، وقال بمثل قولها : زيد بن ثابت وابن عمر وغيرهما .

وقال نفر من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - الأقراء : الحيض[٢٠] .

قال ابن القيم : وهذا القول قول أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي وابن مسعود وأبي موسى ، وعبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء ، وابن عباس ، ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهم - [٢١] .

ب - من ورود حكمين مختلفين لموضوعين يظن أن يشمل أحدهما بعض ما يشمله الآخر ، فيتعارضان في ذلك الجزء .

مثال ذلك :

آية معتدة الوفاة ، فقد أوجبت أن تتربص أربعة أشهر وعشرا . قال تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾[٢٢] ويظن شمولها للحامل .

وآية الطلاق جعلت عدة الحامل وضع الحمل .

قال تعالى :

﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر ، واللائي لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾[٢٣] فمعتدة الوفاة الحامل مترددة بين أن تشملها الآية الأولى فيجب عليها أن تتربص أربعة أشهر وعشرا ، وإن وضعت حملها قبل ذلك ، وبين أن تكون عدتها وضع الحمل ، ولو لم تتربص تلك المدة عملاً بآية معتدة الطلاق .

فقال بعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

ذكر الله في المطلقات أن عدة الحوامل أن يضعن حملهن ، وذكر في المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا فعلى الحامل المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا ، وأن تضع حملها ، حتى تأتي بالعدتين معاً ، إذ لم يكن وضع الحمل انقضاء للعدة نصاً إلا في الطلاق .

ويقول غيرهم : من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا وضعت ذات بطنها فقد حلت ولو كان زوجها على السرير .

ويقول ابن مسعود : مَنْ شاء باهلته ، أن سورة النساء القصرى - الطلاق - نزلت

بعد سورة النساء الطولى - البقرة . ومآله تخصيص آية البقرة بآية الطلاق ، وقد تأيد مذهبه بحكمه - صلى الله عليه وسلم - في قضية سبيعة الأسلمية التي وضعت بعد وفاة زوجها فأحلها الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأزواج(٢٤) .

جـ - من ورود لفظ غير محدد المدلول ومثاله : لفظ الكلالة .

في قوله تعالى : ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾(٢٥) .

وقوله تعالى : ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾(٢٦) الآية .

فلفظ الكلالة الذي جاء في الآيتين يحتمل عدة معان في اللغة : من لا ولد له ولا والد ، ومن لم يكن من - النسب لَحًّا ، ومن تكلل نسبه بنَسبك كابن العم وشبهه ، والإخوة لأم ، أو بنو العم الأباعد أو ما خلا الوالد والولد أو هم العصبة الذين يرثون مع الإخوة لأم ، . . الخ(٢٧) .

لذلك وجدنا الأصحاب يختلفون في ذلك اختلافاً عظيماً فقال أبو بكر وعلي وزيد وابن مسعود ، وابن عباس في إحدى الروايتين : هي ما خلا الولد والوالد .

وعن ابن عباس في رواية أخرى وغيره هي ما خلا الولد - فقط - والروايات عن عمر تدل على عدم قطعه في ذلك . روى أنه قال : ما خلا الولد والوالد مرة .

وقال مرة أخرى : إنها ما خلا الولد .

قال سعيد بن المسيب : كان عمر يكتب كتاباً في الكلالة ، فلما حضرته الوفاة محاه، وقال : ترون فيه رأيكم .

كما روى عنه أنه قال : ثلاث لأن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - بينهن لنا أحب إليَّ من الدنيا وما فيها : الكلالة ، والخلافة ، والربا .

وهكذا اتفقوا على أن الولد ليس كلالة . واختلفوا في الوالد ، وقد اختلفوا في الجد يورث كلالة ، فقال قائلون : لم يورث كلالة ، وقال آخرون يورث كلالة وهو قول من يورث الإخوة والأخوات مع الجد(٢٨) .

د - أن يكون سبب الاختلاف النسيان والأمثلة على ذلك كثيرة لأن الصحابة بشر ينسون كما ينسى سائر الناس .

فقد أمر عمر على المنبر بأن لا يزاد في مهور النساء على عدد ذكره فذكّرته امرأة بقول الله تعالى : ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيا﴾[٢٩] .

فترك قوله وقال : كل أحد أفقه منك يا عمر .

وقال : أصابت امرأة وأمير المؤمنين أخطأ[٣٠] .

وأمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر ، فذكره عليٌّ بقول الله تعالى : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[٣١] مع قوله تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾[٣٢] فرجع عن الأمر برجمها وقال يوم مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله ما مات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا ، أو كلاماً هذا معناه .

حتى قرئت ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[٣٣] فسقط السيف من يده وخرَّ إلى الأرض وقال : والله كأني لم أكن قرأتها قط[٣٤] . وإذا حدث هذا من عمر . . . فإمكان حدوثه من غيره أقوى .

ومع أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أقدر الناس على فهم القرآن ، لأنه بلسانهم نزل ، وقد عرفوا أسباب نزوله ، إلا أنهم اختلفوا في فهمه حسب اختلافهم في أدوات الفهم ، فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغاتهم : فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها، عارفاً غريبها ، ومنهم من كان دون ذلك ، ومنهم من كان يلازم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيعرف من أسباب النزول ولذلك أثره في فهم الآيات ، أضف إلى ذلك كله أنهم كانوا يتفاوتون في قوة الذهن وفي مقدار العلم ومعرفة أشعار العرب وعاداتهم مما يقرب المعاني إلى العقول ويساعد في الوصول إلى المعنى المراد .

الثاني : اختلاف الصحابة بسبب السنة :

من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان ظاهراً مكشوفاً قيل أو فعل بحضور الجم الغفير من الصحابة كالصلاة وكيفيتها ، وعدد ركعاتها وكالحج وشعائره .

ومنها ما كان يفعل أو يقال بحضور واحد أو اثنين فيكون تحمله مقصوراً على من

حضره . وهذا أكثر السنة القولية - وهو منشأ اختلاف - ولم يكن التحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شائعاً في هذا الدور - ولم تكن السنة مجموعة في كتاب يرجع إليه فكان المفتون إذا عرضت لهم الحادثة فإن وجدوا حكمها في كتاب الله ، وإلا سألوا من معهم هل عندهم شيء من قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها وقد تباين أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العلم بالسنة والإحاطة بها تبايناً عظيماً . . . فقد كان منهم من لازم النبي - صلى الله عليه وسلم - ملازمة شديدة ، ومنهم من شغله السعي على الرزق فلم يحضر إلا القليل لذلك وجدنا بعض الأحكام يعلم بها بعضهم ويجهلها غيرهم .

يقول ابن حزم : كان علم التيمم عند عمار وغيره ، وجهله عمر وابن مسعود فقالا :

«لا يتيمم الجنب ، ولو لم يجد الماء شهرين» ، وكان حكم المسح عند علي وحذيفة - رضي الله عنهما - وغيرهما ، وجهلته عائشة وابن عمر وأبو هريرة وهم مدنيون - وكان توريث بنت الابن مع البنت عند ابن مسعود ، وجهله أبو موسى ، وكان حكم الاستئذان عند أبي موسى وعند أبي سعيد وأبيّ وجهله عمر .

وكان حكم الإذن للحائض في أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن عباس وأم سليم وجهله عمر وزيد بن ثابت . الخ[٣٥] .

وقد أرجع ابن حزم - رحمه الله - اختلاف الصحابة في السنن لأسباب عشرة :

أحدهما :

أن لا يبلغه الخبر فيفتي فيه بنص آخر بلغه كما قال عمر في خبر الاستئذان : خفي عليَّ هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألهاني الصفق بالأسواق .

وثانيهما :

أن يقع في نفسه أن رواي الحديث لم يحفظ وأنه وهم كفعل عمر في خبر فاطمة بنت قيس (حيث شهدت عنده بأنها كانت مطلقة ثلاثاً فلم يجعل لها رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - نفقة ولا سكنى فرد شهادتها وقال : لا أترك كتاب الله بقول امرأة لاأدري أصدقت أم كذبت لها النفقة والسكنى) . وكفعل عائشة في خبر الميت يُعذب ببكاء أهله .

وثالثهما :

أن يقع في نفسه أنه منسوخ كما ظن ابن عمر في آية - نكاح الكتابيات . لقول الله تعالى : ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ﴾ قال : ولا أعلم شركاً أعظم من أن تقول المرأة : إن عيسى ربها .

ورابعها :

أن يغلب نصاً على نص بأنه أحوط ، وعلق عليه بقوله : وهذا لا معنى له إذ لم يوجبه قرآن ولا سنة .

وخامسها :

أن يغلب نصاً على نص لكثرة العاملين به أو لجلالتهم . وعلق عليه بقوله : وهذا لا معنى له ، لأن كثرة القائلين بالقول لا تصحح ما لم يكن صحيحاً قبل أن يقولوا به ، وقلة القائلين بالقول لا تبطل ما كان حقاً قبل أن يقول به أحد وضرب له مثلاً بإبطال قول من وضح الخبر بعمل أهل المدينة .

سادسها :

أن يغلب نصاً لم يصح على نص صحيح وهو لا يعلم بفساد الذي غلب .

وسابعها :

أن يخصص عموما بظنه .

وثامنها :

أن يأخذ بعموم لم يجب الأخذ به ويترك الذي ثبت تخصيصه .

وتاسعها :

أن يتأول في الخبر غير ظاهره بغير برهان لعلة ظنها بغير برهان .

وعاشرها :

أن يترك نصاً صحيحاً لقول صاحب بلغه ، فيظن أنه لم يترك إلا لعلم كان عنده ، فهذه ظنون توجب الاختلاف الذي سبق في علم الله عز وجل - أنه سيكون(٣٦) .

ويضيف الدهلوي إلى هذه الأسباب سبباً آخر وجيهاً وهو أن يرى الصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعل فعلاً فيؤوله بعضهم على القربة ويؤوله بعضهم على الإباحة ، ومثاله ما رواه أصحاب الأصول في قضية - التحصيب - أي النزول بالأبطح عند النفر - نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - به فذهب أبو هريرة وابن عمر إلى أنه على وجه القربة فجعلوه من سنن الحج ، وذهبت عائشة وابن عباس إلى أنه كان على وجه الاتفاق وليس من السنن(٣٧) .

الثالث : اختلاف الصحابة بسبب الرأي :

وقد كانوا يذهبون إلى الرأي - على كره منهم - إذا لم يكن عندهم في الحادثة نص من القرآن أو السنة .

والرأي عندهم إنما كان العمل بما يرونه مصلحة وأقرب إلى روح الإسلام ومن ذلك قضاء عمر على محمد بن مسلمة أن يمر خليج جاره في أرضه ، لأنه ينفع الطرفين ، ولا يضر محمداً في شيء ، وقضاؤه بوقوع الطلاق الثلاث مرة واحدة لأن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، وتحريمه ، على من تزوج امرأة في عدتها أن يتزوج بها مرة أخرى بعد التفريق بينهما زجراً له .

والنظر في المصالح يختلف باختلاف الناظرين ، لذلك نجد بعض المفتين في عصر عمر خالفوه فيما رأى ، وهناك مسائل خالف فيها عمر أبا بكر ، وقضى فيها بغير ما كان يقضي به كما في ميراث الاخوة مع الجد ، وفي التفضيل في العطاء .

وكذلك هناك مسائل أفتى فيها على غير ما أفتى به غيره من إخوانه فقد كان يخرج الزكاة عن أموال اليتامى الذين في حجره ، وكان غيره يقول : ليس على مال اليتيم زكاة(٣٨) ويدخل في ذلك اختلافهم في علة الحكم : مثاله القيام للجنازة .

فقال قائل : لتعظيم الملائكة فيعم المؤمن والكافر .

وقال قائل : لهول الموت فيعمهما ، وقال الحسن بن علي - رضي الله عنهما - مُرَّ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بجنازة يهودي فقام لها كراهية أن تعلو رأسه فيخص الكافر .

وبالجملة فقد اختلفت مذاهب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخذ عنهم التابعون كذلك ، كل واحد ما تيسر له فحفظ ما سمع من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومذاهب الصحابة وعقلها ورجح بعض الأقوال على بعض . . . فعند ذلك صار لكل عالِم من علماء التابعين مذهب على حياله . وانتصب في كل بلد إمام .

وكان سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وأمثالهما جمعوا أبواب الفقه أجمعها وكان لهم في كل باب أصول تلقوها من السلف .

وكان سعيد وأصحابه يذهبون إلى أن أهل الحرمين أثبت الناس في الفقه وأصل مذهبهم فتاوي عبدالله بن عمر ، وعائشة ، وابن عباس وكان ابراهيم وأصحابه يرون أن عبدالله بن مسعود وأصحابه أثبت الناس فيه .

- وأصل مذهبهم فتاوي عبدالله بن مسعود وقضايا علي رضي الله عنهما - وكان سعيد بن المسيب لسان فقهاء المدينة وإبراهيم النخعي لسان فقهاء الكوفة(٣٩) .

ومن هنا نشأ ما يسمى بمدرسة الحجاز ومدرسة العراق - أو مدرسة الحديث ومدرسة الرأي .

وقد كانت خطتهم في المباديء التشريعية العامة التي راعوها في تشريعهم هي الخطة الإسلامية وهي الاقتصار على تشريع ما تدعو إليه الحاجة فقط ، وعدم سبق الحوادث بالتشريع . ومسايرة المصالح ، ورعاية التيسير والتخفيف .

ما خلفه هذا العهد من آثار تشريعية :

الآثار التشريعية التي خلفها هذا العهد ثلاثة :

الأول :

شرح لنصوص الأحكام في القرآن والسنة فإن مجتهدي الصحابة لما بحثوا في هذه النصوص لتطبيقها على الوقائع تكونت لهم آراء في فهمها وما يراد منها ، وكانوا في تقدير آرائهم يستندون إلى ملكتهم اللسانية وملكتهم التشريعية ، وما وقفوا عليه من حكم التشريع ، وأسباب نزول القرآن ، وورود االسنة ، فمن مجموعة هذه الآراء تكون شرح لنصوص الأحكام يعد أوثق مرجع لتفسيرها ، وبيان إجمالها . ووجوه تطبيقها ، ويتجلى هذا في كتب تفسير القرآن بالمأثور مثل التفسير المنسوب لابن عباس ، وتفسير محمد بن جرير الطبري .

والثاني :

عدة فتاوى اجتهادية صدرت عن الصحابة في وقائع لا نص على حكمها فإن المجتهدين منهم كانوا إذا لم يجدوا نصاً في القرآن أو السنة على حكم الواقعة المعروضة اجتهدوا لاستنباط حكمهابطريق من طرق الاستنباط ، وبهذا الاستنباط شرعوا أحكاماً كثيرة في وقائع عديدة في مختلف البلدان ، وكانت الفتاوى التي صدرت في أول عهدهم لها صبغة غير الصبغة التي صدرت منهم بعد ذلك ، لأن الأولى في الغالب صدرت عن اجتهاد الجماعة ، وأما الثانية فقد صدرت عن اجتهاد الأفراد .

وقد عني بعض رجال الحديث في أول العهد بتدوين السنة بأن يدونوا فتاوى الصحابة في مختلف أبواب الأحكام مع السنة .

الثالث :

انقسام حزبي ابتدأ سياسياً بشأن الخلافة والخليفة وانقلب دينياً ذا أثر في التشريع .

وذلك أنه بعد أن قتل عثمان بن عفان وبويع بالخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ونازعه معاوية بن أبي سفيان بسبب امتناعه عن بيعته حتى يقتص من قتلة عثمان . واشتعلت الحرب بين الفريقين وانتهت إلى تحكيم الحكمين نتج عن هذا انقسام المسلمين

إلى أحزاب ثلاثة : - الخوارج - الشيعة - وأهل السنة والجماعة ، وهم جمهور الأمة .

فالخوارج :

جماعة من المسلمين نقموا من عثمان سياسته في خلافته . ونقموا من عليّ قبوله التحكيم ، ونقموا من معاوية توليه الخلافة بالقوة . فخرجوا عليهم جميعاً . وكان مبدؤهم أن خليفة المسلمين يجب أن ينتخبه المسلمون بانتخاب حر ممن توافرت فيه الكفاءة للخلافة سواء كان قرشياً أو غير قرشي ، ولو كان عبداً حبشياً ، وأنه لا تجب طاعته إلا إذا كان عمله في حدود القرآن والسنة ، فإن جاوز حدودهما وجبت معصيته وسلكوا في تأييد مبدئهم ، والانتقام من خصومهم ، كل وسائل العنف والشدة في حربهم وفي تأييد عقيدتهم .

وأما الشيعة :

فهم جماعة من المسلمين شايعوا عليَّ بن أبي طالب وذريته وأفرطوا في محبته . ورأوا أنه هو وذريته أحق بالخلافة من غيره ، لأنه هو الوصي الذي أوصى إليه الرسول بالخلافة من بعده . وانقسموا فيما بينهم فرقاً بشأن توارث هذه الخلافة إلى : كيسانية وزيدية وإسماعيلية وجعفرية كل فرقة تجعل الخلافة في فرع خاص من ذرية علي .

وأما جمهور المسلمين وهم أهل السنة والجماعة :

فهم الذين لم يذهبوا مذهب الخوارج ولا مذهب الشيعة . ولم يروا أن الخلافة وصية لأحد ورأوا أن الخليفة ينتخب من أكفاء قريش إن وجد ، ولا يفاضلون بين الخلفاء ولا بين غيرهم من الصحابة . ويؤولون ما كان بينهم من خصومات بأنها كانت اجتهادية في أمور سياسية لا ترتبط بكفر ولا إيمان .

هذا الانقسام السياسي بين الأحزاب الثلاثة كان له أثر تشريعي ، لأن الخوارج كانوا لا يأخذون بالأحكام التي وردت في أحاديث رواها عثمان أو عليٌّ أو معاوية أو رواها صحابي ناصَرَ واحداً منهم . وردوا كل أحاديثهم وآرائهم وفتاويهم ورجحوا كل ما روى عمن يرضونهم وآراء علمائهم وفتاويهم ، وبهذا كان لهم فقه خاص ، وكذلك الشيعة ردوا أحاديث كثيرة رواها عن الرسول جمهور الصحابة ولم يعولوا على آرائهم

وفتـاويهم وعـولت كل طائفـة منهـم على الأحـاديث التي رواها أئمـتـهـم من آل البيت والفتاوى التي صدرت عنهم وبهذا كـان لهم أيضا فقه خاص ، وكتب فقههم المطبوعة لا تحصى . وأما جمهور المسلمين فكانوا يحتجون بكل حديث صحيح رواه الثقات العدول بلا تفريق بين صحابي وصحابي ، ويأخذون بفتاوى الصحابة وآرائهم جميعاً .

وبهذا كـانت أحكامهم لا تتفق مع أحكام الخوارج والشيعة في عدة موضوعات كـالإرث والوصية وبعض عقود الزواج وغيرها . . بالإضافة إلى ما بين هذه الفرق من اختلاف في مسائل تختص بالعقيدة . . وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قائمة مراجع البحث

(١) الفكر السامي : الحجوي جـ١ ص٢٢٣ ، ومصنف عبدالرزاق جـ١١ ص٢٧٦ . والإصابة / ابن حجر / حـ١ ص٨.

(٢) طبقات الفقهاء / الشيرازي ص ٥٢ - ٥٣ .

(٣) نظرة عامة في تاريخ الفقه للدكتور / علي حسن عبدالقادر ص ٥٤ ط٣ سنة ١٩٦٥م .

(٤) البرك صدر كل شيء ، والمراد أنهم المقدمون من المؤمنين يقصد بهم الصحابة رضي الله عنهم .

(٥) أعلام الموقعين / ابن القيم حـ١ ص١١ .

(٦) حلية الأولياء / أبو نعيم / حـ١ ص٣٠٥ مطبعة السعادة بمصر .

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٢ .

(٨) أعلام الموقعين حـ ١ ص ١٢ وما بعدها .

(٩) في كشف الخفاء للعجلوني جـ ١ ص ١٤٧ - رواه البيهقي وأسنده الديلمي عن ابن عباس وانظر جامع بيان العلم / لابن عبد البر حـ ٢ ص ١٠ - ١٢ . وقال : هو كلام لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

(١٠) طبقات الفقهاء / الشيرازي ص ٣٥ وما بعدها . وانظر الفكر السامي للحجوي حـ ٢ ص ٢٨٧ وما بعدها.

(١١) ملخصاً من : نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي : الدكتور علي حسن عبدالقادر ص ٥٧٧ وفقه عبدالله ابن عمر وأثره في مدرسة المدينة / علي عبدالله جابر ص ٥٨ .

(١٢) أعلام الموقعين حـ ١ ص ٦٢ .

(١٣) المرجع السابق حـ ١ ص ٢١ .

(١٤) المرجع السابق ص ٦٢ .

(١٥) نظرة عامة / للدكتور علي حسن عبدالقادر ص ٧٩ .

(١٦) المرجع السابق والصحيفة نفسها . وانظر طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٨ .

(١٧) أ - التشريع والفقه في الإسلام / للشيخ مناع خليل القطان ص ١٠٠ . وانظر نظرة عامة للدكتور/ علي حسن عبدالقادر ص ٥٧ ، وأسباب اختلاف الفقهاء للدكتور مصطفى الزلمي ص ٢٢ .

(١٧) ب - أعلام الموقعين / ابن القيم / حـ ١ ص ٣٣ .

(١٨) أنظر في تعريف الإجماع وحجته : روضة الناظر / ابن قدامه ص ٦٧ ، وإرشاد الفحول ص ٨١ وتاريخ التشريع / الخضري ص ٩٥ ، وأصول الفقه الإسلامي / لمذكور ص ١٣٤ .

(١٩) البقرة : الآية ٢٢٨ .

(٢٠) الرسالة / للشافعي ص ٥٦٢ بتحقيق الأستاذ المرحوم أحمد شاكر .

(٢١) زاد المعاد / ابن القيم /حـ ٤ ص ١٨٤ .

(٢٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٣٤ .

(٢٣) سورة الطلاق الآية رقم ٤ .

(٢٤) الرسالة / الشافعي / ص ٥٧٢ ، وتاريخ التشريع للخضري ص ١٠٤ .

(٢٥) الآية رقم ١٢ من سورة النساء .

(٢٦) الآية رقم ١٧٦ من السورة نفسها .

(٢٧) انظر القاموس مادة كل باب اللام فصل الكاف حـ ٤ ص ٤٦ وابن عم لح : لاصق النسب وإن كان رجلاً من العشيرة فهو ابن عم كلالة . قاموس حـ ١ ص ٢٥٥ .

(٢٨) أحكام القرآن للجصاص حـ ٢ ص ٨٦ .

(٢٩) الآية رقم (٢٠) من سورة النساء .

(٣٠) تاريخ عمر بن الخطاب / ابن الجوزي ص ١٠٩ مطبعة محمد علي صبيح القاهرة / في ذكر تواضعه رضي الله عنه ، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم / منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت حـ ٢ ص ١٢٥ .

(٣١) الآية رقم ١٥ من سورة الأحقاف .

(٣٢) الآية رقم ٢٢٣ من سورة البقرة .

(٣٣) الآية رقم ٣٠ من سورة الزمر .

(٣٤) الإحكام في أصول الأحكام / ابن حزم حـ ٢ ص ١٢٥ وانظر مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام / ابن تيمية ص ٣٨ - ٥٥ ، وقد قال : وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وقد بين الإمام ذلك أوضح بيان في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧ وما بعدها .

(٣٥) الإحكام / ابن حزم حـ ٢ ص ١٢٧ .

(٣٦) الإحكام / ابن حزم / حـ ٢ ص ١٢٩ وما بعدها . انظر مقدمة التفسير لابن تيمية ص ٣٨ - ٥٥ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧ .

(٣٧) حجة الله البالغة : الدهلوي ص ١٤٢ .

(٣٨) تاريخ التشريع / للخضري / ص ١٠٧ .

(٣٩) حجة الله البالغة ص ١٤٣ .

خطر التبعية في مجال النقد

د/ مصطفى عبدالواحد

أعني بالتبعية تقليد المذاهب النقدية الأوربية ومحاولة تطبيقها على أدبنا العربي مهما أدى ذلك إلى التعسف والتكلف واللعب بالألفاظ لنصرة هذا المذهب أو ذاك، وترك النظر الفاحص فيه وغض البصر عن معايبه وصم الآذان عن سماع النقد الموجه إليه، عصبية له وخضوعاً لمقتضاه وقصوراً عن موقف الند . . والإزراء على تراثنا النقدي والسخرية من مقولاته وإدعاء أنه أصبح لا يسد الحاجة ولا يتواءم مع متطلبات الكشف عن حقيقة النص . . والمطالبة بمواراة هذا التراث النقدي التراب . . أو تأويله بما يجعله متوافقاً مع أهواء النقد الجديد !

تلك هي ملامح الموقف الذي يقفه أتباع النقد الجديد في عالمنا العربي . . فهم يرجِّحون كفَةَ الجديد . . ويبخسون حق القديم وينفّرون الناس منه ويصرفونهم عنه حتى لا يبقى له مَجال في الحكم على الأدب أو تذوقه . . وقد أصبح هذا للنقد القديم غريباً متضائلاً منزوياً . . في مواجهة تيار الغزو الجديد بمصطلحاته البرّاقة وأثوابه الزاهية وحماس المروّجين له والمدافعين عنه .

وليس الهدف من هذه المحاضرة إجراء مفاخرة بين النقدين ولا الانتصار للقديم لأنه قديم . . ولا الهجوم على الجديد لأنه جديد . . بل الهدف أن نقف وقفة للمراجعة والتحري . . وحساب النفس . . لنرى إلى أي مدى جرى المنادون بالتسليم للجديد دون قيد أو شرط .

وأي جناية جنوها على أنفسهم وعلى أمتهم حين كرَّهوا إليها تراثها . . وحببوا إليها كل ما يصدر عن الغرب من أفكار واتجاهات مهما بلغت الغاية في الغرابة والشذوذ والتعسف . .

أي جديد ؟

ونبدأ بمناقشة اصطلاح «النقد الجديد» لنرى هل هو جديد حقاً . . وهل فيه من إضافة صالحة للتراث النقدي الإنساني أم هو محو له وقطيعة معه وإزراء بشأنه ؟

ولندع الجواب على هذه الأسئلة للناقد الإنجليزي «جورج واطسن» في كتابه الوجيز : «للفكر الأدبي المعاصر» الذي قام بترجمته إلى العربية الدكتور محمد مصطفى بدوي» ونشر بالقاهرة عام ١٩٨٠ عن الهيئة المصرية للكتاب .

إذ يقول : «إن بدعة الجديد في أحدث صورها عجيبة من العجائب ، وأنسب وصف لها أن نسميها بدعة «الجديد الأثري» أو «الجديد العتيق» . ولا تلخص لنا هذه العبارة صفات النقد الجديد الفرنسي فحسب ، وإنما تلخص أيضاً اليسار الجديد الذي ظهر في الستينيات والذي حل محله هذا النقد الجديد على نحو من الأنحاء ، كما تلخص عدداً كبيراً من «الموضات» الأخرى التي ظهرت بعد الحرب . والناقد الجديد الأثري هو المولع بالجديد في الفكر يفتش عنه دائماً ، بحيث يتوهم أن شيئاً ما عمره نصف قرن أو أكثر هو أحدث الأشياء ! وأبدع مثال لذلك هو اليسار الجديد ، فقد ظن أصحابه أن «ماركس» هو أحدث شيء في الاقتصاديات الاجتماعية وأقنعوا أنفسهم بأن مشاكل أواخر القرن العشرين حلها عند رجل ألماني من أوائل القرن التاسع عشر . . طبعاً أن قدم إنجيل مثل إنجيل ماركس - لاحظ السخرية - لا ينهض اعتراضاً على صدقه غير أنه حجة قاطعة تنفي كونه جديداً ولا ريب أن المؤرخين المتعاطفين سيجدون صعوبة في تفسير استخدام هذه الصفة في اسم «اليسار الجديد» وينطبق الشيء نفسه على اسم «النقد الجديد»[1] .

هكذا يتبين أن ما يسمونه «نقداً جديداً» ليس جديداً في الحقيقة بل يرجع إلى فترات تطور الفكر بعدها وتقدم البحث وتغيرت صورة الحياة في شتى جوانبها . . فلماذا يحمد هؤلاء عند هذه المقولات ولا يسمحون لأنفسهم ولا لغيرهم بمراجعتها وتأملها تأملاً نقدياً طليقاً بريئاً من التعصب والتبعية والتقليد .

---

(١) الفكر الأدبي المعاصر لجورج واطسون ص ١٠٤ - ١٠٥ .

إن هذا التعصب الأعمى وهذا التقليد الذليل يعود إلى أسباب بينها «واطسون» بقوله : «ولكن لماذا يولع بعض المثقفين هذا الولع ويهيمون هذا الهيام بما يفترضون أنه جديد؟ أسباب ذلك عديدة ولا يتعارض بعضها مع البعض الآخر . . فقد يكون المثقف يعاني من الوحدة وفي هذه الحال قد تتيح له «موضة» فكرة من الأفكار فرصة عظيمة للاستئناس بالغير . وقد يكون واقعاً تحت تأثير سحري لأستاذ من الأساتذة الذين يتحلق حولهم التلاميد ، أستاذ يستغل كل ما أوتي من الحيل الماكرة التي يتميز بها هذا النوع من الأساتذة ، ويحدث ذلك بصفة خاصة عند الشبان . وقد يخلبه وهو طالب بالجامعة مقدار الطرافة والجدة في كلام ما ذكره له من قبل أيٌّ من معلميه بالمدرسة .

وقد يقع في غرام مصطلحات فنية تجذبه بما تتصف به من تعقيد وقد يجد لذّة في الانتماء إلى جماعة أو فئة وفي شعوره أنه بذلك يعرف مالا يعرفه من هم خارج هذه الجماعة . أو ربما يخشى ما يتطلبه التفكير الأصيل من وحدة ويكون محقاً في خوفه هذا»[1] .

وهذا ما نتبينه بوضوح لدى أتباع هذا النقد في عالمنا العربي فهم مبهورون بالمصطلحات المعقدة التي يرون أنها تميزهم عن الآخرين وتجعل لهم نوعاً من الخصوصية والتفرد . . وأكثرهم ينقلون هذه المصطلحات نقلاً ولو كانوا لا يتذوقونها ولا يحسنون فهمها .

وهذا ما يتضح في ترديدهم للمصطلحات اللغوية المنقولة عن «دي سوسير» السويسري الذي مات سنة ١٩١١م وجمودهم عند آرائه اللغوية التي كانت عماد البنيوية ، وقد وجهت إلى آراء «سوسير» انتقادات شديدة أظهرت ما فيها من تعسف وادعاء مغاير للتاريخ اللغوي والأدبي . . وكذلك شغفهم بمصطلحات البنيوية التي يزعم أصحابها أنهم يجدون تماثلات أو تقابلات وبالذات تعارضات ثنائية في معتقدات الأفراد والجماعات وفي سلوكهم . وهي كما يقول «واطسن» : «غير أن البنيوية بالنسبة إلى الأدب كانت دائماً نظرية ولم تكن أداة عملية ، فهي كما يقول أحد المعجبين بها من الأمريكيين : «ليست منهجا لإيجاد تفسيرات جديدة ومدهشة للأعمال الأدبية ، وإنما

(١) المصدر السابق ص ١٠٦ - ١٠٧

هي باب من التفكير يتساءل : كيف يمكننا الوصول إلى دلالات الأعمال الأدبية» ومع ذلك فمزاعم البنيوية عظيمة جداً إذ كانت تدعي في أوج ازدهارها - أي في أواخر الخمسينيات الميلادية وما تلاها مباشرة من سنوات أنها تفسر جميع الحقائق البشرية أو على الأصح أنها على وشك أن تفسر كل شيء . وكان هذا سر جاذبيتها . . فمنذ أن حاد العقل الأدبي عن طريقه المعهود نتيجة لانهيار الإيمان بالدين منذ أكثر من قرن مضى حتى الآن وهو يسعى طول الوقت باحثاً عما يستعيض به عن ذلك الإيمان المفقود . ولسوف يجد المؤرخون في هذا البحث المتصل العلامات الكبرى التي تميز عقلية القرن العشرين . إننا نعيش في عصر يتسم بأشكال من التعصب سريعة التغير ، تودي فيه بمذهب فكري تلو مذهب باعتباره الحل الذي سيخرجنا من حيرتنا وكانت الدعوة دائماً قصيرة الأمد»[1].

الخطر الأكبر :

وهذا هو الخطر الأكبر للتبعية في مجال النقد . . أن مفكرين ومثقفين من العرب والمسلمين يسيرون وراء هذه المذاهب السريعة التغير . . ويظنونها مذاهب أدبية صرفة . . ويتجاهلون الأسس الفلسفية والعقلية التي قامت عليها . .

ولم يعد بالإمكان إنكار أن هذه المذاهب الجديدة وخاصة البنيوية تقوم على أساس أنها عقيدة جديدة تحل محل الأديان وأن لها القدرة على تفسير كل الظواهر الإنسانية وليست الأدبية خاصة . .

يشهد بذلك الغربيون أنفسهم . . كما يشهد بذلك العلمانيون العرب ومنهم عزيز العظمة الذي يرى في كتابه «العلمانية من منظور مختلف» : «أن الاهتمام بالدين قد انحسر في كثير من أوجه النشاط الفكري والسياسي في العقود الأخيرة في الوطن العربي وجاء الأدب للتعبير عن الحداثة العلمانية المتمثلة بتطويع الرمز الديني»[2] .

فإذا كانت هذه المذاهب النقدية تسعى إلى احتلال مكانة العقيدة الدينية أو تطويع الرمز الديني بحيث تؤوله كما تشاء . . فكيف يرضى مسلم ببيع نفسه لها . . وتسخير

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢) من مقال «علمانية عزيز العظمة . .» مجلة دراسات عربية عدد يوليو - أغطسط ١٩٩٤م .

طاقته في الدعوة لها والانتصار لآرائها؟!

إن النظريات لا تنفصل عن مصدرها الفكري ورؤيتها للكون والحياة . . فإذا كان أصحابها يقررون أنهم أرادوا بها بدائل للعقيدة الدينية أو وسائل لهدم الإيمان . . فكيف يأتي منا مَنْ يزعم أنها أدوات لا علاقة لها بالعقائد والأديان وأن بالإمكان أن تكون بنيوياً خالصاً . . ومع ذلك تكون مسلماً تقياً ؟!

إنها تقاليع غربية . . جاءت بسرعة ثم ذهبت في بلادها بسرعة كما هو الحال في مجال الأزياء التي تظهر ثم تختفي . . كما يقول «واطسن» : «فإن لم تكن وجودياً في الأربعينيات وبنيوياً في الخمسينيات وماركسيا في الستينيات ومتحمسا لنظرية اللغويات في السبعينيات قضي عليك بسهولة باعتبارك شخصاً تعوزك الحساسية إزاء مقتضيات الحياة الفكرية»[1] .

هكذا نرى أن موضة البنيوية كانت في أوربا في الخمسينيات ثم انتهت . . أما في عالمنا العربي فإنها باقية لا تزول عند أتباعها . . في عالمنا العربي يجمد الأتباع على ما تخلى عنه المتبوعون !

كما هو الحال بالنسبة للماركسية . . إذ سقطت في بلادها وتخلى عنها أصحابها . . لكن الماركسيين العرب يتميزون بالوفاء الذي يتحول إلى تقليد وجمود . . فمازالوا يجادلون في سقوط الماركسية . . ويزعمون أنها باقية . . وأن الذي حدث إنما هو مؤامرة أمريكية لا تلبث أن تزول اثارها . . وتعود الماركسية مرة أخرى للسيطرة والانتشار . .

ولا زالوا على وفائهم المذموم هذا . . يصدرون مجلاتهم ويرددون مقالاتهم المضحكة . . وقد تحولوا من العداء للرأسمالية التي أسقطت نظريتهم إلى العداء للإسلام الذي يزعمون أنه المقابل للتقدم وأنه المعوق لنهوض الشعوب !

خطر التعسف والتكلف :

والخطر الثاني من أخطار التبعية والتقليد للمذاهب النقدية الجديدة المتغيرة هو

---

(١) االفكر الأدبي ص ٥٣ .

تعسف الأتباع في تأويلهم للنصوص حتى تطابق النظريات التي منحوها ولاءهم وثقتهم . . وهذا ما نعاني منه في عالمنا العربي . . وما يملأ القلوب بالأسى إذ ظهر فينا نقاد أتباع لنظريات نقدية عجيبة . . فأخذوا يفسرون أدبنا القديم بها ويطبقونها عليه . . سواء في ذلك الشعر الجاهلي والإسلامي . . فرأينا من يطبق هذه النظريات على شعر امريء القيس وعلى أبي تمام وأبي نواس وغيرهم من شعراء الجاهلية والإسلام . . فيتكلف ويتضح ويحاول جاهداً إثبات العناصر البنيوية لدى هؤلاء الشعراء !

ولا يتسع المجال للإكثار من الشواهد . . فنجتزيء بأمثلة قليلة . . منها ما قام به الناقد البنيوي المخلص لمذهبه كمال أبو ديب في ثلاث قصائد لأبي نواس أراد منها : «إضاءة ملامح من بنية القصيدة عند أبي نواس بتطبيق المنهج البنيوي»[1] .

والقصيدة الأولى التي أجرى عليها المنهج البنيوي في النقد لا تزيد عن تسعة أبيات ومطلعها :

يا ابنة الشيخ أصبحينا	ما الذي تنتظرينا
قد جرى في عودك الماء	فاجري الخمر فينا

وقد شرحها هذا الناقد البنيوي في إثنين وعشرين صفحة ! حافلة بالتكلف والإدعاء والتناقض مزينة بالرسوم والسهام والجداول . وقد رأى أن هذه القصيدة ترتكز على مكونين بنيويين هي الخمرة والأطلال . واستهدف من تحليله إيضاح الثنائيات الضدية في بنية هذه القصيدة . وقد أظهر التحليل البنيوي أن هذه القصيدة تنقسم انقساماً أفقياً إلى شريحتين تشكلان ثنائية ضدية ينفي طرفها الأول طرفها الثاني . وهما عالما الخمر والأطلال . فالخمر عنده تمثل حركة التمرد على الأخلاق والدين بينما تمثل الأطلال عالم التراث العربي وما يتصل به كما يقول : «ويرفض الطرف الأول منها الطرف الثاني والقيم الأخلاقية الدينية التي يمثلها . هكذا تصبح القصيدة تجسيداً لواقع التراث الأخلاقي الديني والتراث الثقافي الشعري ويتجسد هذا الرفض في بنية متشابكة العلاقات»[2] .

(١) جدلية الخفاء والتجلي لكمال أبو ديب ص ١٦٨ – ط دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثانية .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٦ .

هذا هو المهم عند كمال أبو ديب أن يصل من وراء التحليل البنيوي لإثبات الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم . .

كأنما كأن امرؤ القيس وأبو نواس وأبو تمام على وعي بنظريات البنيوية والسيميائية وما إليها من أسس هذا النقد الذي يزعمون أنه جديد .

ويبلغ التكلف وليٌّ أعناق النصوص عند «أبي ديب» مداه حين يقف في أبيات أبي نواس هذه عند جملة : «يا ابنة الشيخ» ويحاول أن يتخذ منها أداة للمطالبة بنفي التراث الديني والخلقي فيقول : «لماذا يختار الشاعر ابنة شيخ ليطلب منها أن تسقيه الخمرة؟ مهما كانت الظروف التاريخية التي كتبت فيها القصيدة فإنها لا تُفقد العبارة دلالتها في بنية القصيدة الكلية . يلاحظ بدءاً أن ابنة الشيخ تقع في الحيز الذي يربط الخمر بالآخر ، فهي الساقية ، وهي إبنة التراث الأخلاقي ، فهي تحمل توتراً حاد لانتسابها إلى هذين العالمين النقيضين ، وهي لا تشكل توسطاً بين الأنا والآخر ، بل انتهاكاً من جانب الأنا لقيم الآخر كما سأحاول أن أوضح .

فإبنة الشيخ تشع بعنصر مفارقة حادة وبموقف يصل في رفضه للقيم درجة يريد معها أن يحول الذات التي تمثل هذه القيم إلى مصدر إنتهاك القيم ذاتها . أي أنه موقف يريد أن يحيل المواجهة الخارجية بينه وبين القيم إلى خلخلة داخلية ضمن بنية القيم ذاتها وإلى نفي الذات ، وتحدث القصيدة ذلك عن طريق تحقيق انفصام - والانفصام خصيصة جوهرية في بنية القصيدة - وبين الشيخ مجسد التراث الأخلاقي الديني والشعري أيضاً اللغويون كانوا شيوخاً وكان الكثير منهم فقهاء أيضاً - وبين ذات من صلبه (ابنته) وهكذا تكثف دلالة الرفض في القصيدة في أول عبارة منها»[1] .

إن هذا الهوس بترداد المصطلحات البنيوية وخداع القاريء بهذه الكلمات البرّاقة المليئة بالزور وتجاهل الحقائق اللغوية نموذج لما يتبعه هؤلاء النقاد الأتباع الذين لا يستطيعون الاستقلال في الرأي ولا الإنصاف في الحكم . . فهم مسوقون إلى هذه الأنماط المكررة المحلولة التي تتشابه في كل ما يكتبون .

والحقيقة أن كلمة «الشيخ» في هذه القصيدة ليس لها علاقة بالتراث الديني أو

(١) جدلية الخفاء والتخلي ص ١٧٧ - ١٧٨ .

الخلقي أو الشعري كما يدعي هذا المقلد ولم يكن لهذه الكلمة دلالة في تلك الفترة إلا الدلالة اللغوية وهي بلوغ الأربعين كما جاء في الكتاب الكريم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً﴾ وقوله سبحانه : ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ . فلم يكن لكلمة الشيخ دلالة على علماء الدين أو الفقهاء كما هو معروف في عصرنا ، ولعل هذا ما دعا هذا الناقد البنيوي إلى أن يقول في عبارته السابقة : «مهما كانت الظروف التاريخية التي كتبت فيها القصيدة فإنها لا تفقد العبارة دلالتها في بنية القصيدة الكلية» . فهو على وعي بأن كلمة الشيخ لم تكن تعني في عصر أبي نواس العالم في الدين أو اللغة لكنه لم يصارح قارئه بهذا . . بل أصر على أن لهذه اللفظة دلالتها بالمعنى المعاصر . . ونقل هذه الدلالة من عصرنا وأرجعها إلى العصر العباسي الذي لم يكن يعرفها لهذه اللفظة . . كل هذه للانتصار لمذهبه النقدي الذي باع عقله له . . ولأنه أعجبه أن يجد تصويراً لرفض الدين والخلق والتراث وإيجاد التناقض بين الإبداع الفني وبين الدين والخلق وأن يجعل من الذات المفترض فيها حماية القيم - وهي ابنة الشيخ - أداة لانتهاك القيم !

وهذا ما يطرب له هؤلاء الأتباع ويتلذذون به وطيلون النفس فيه . . وعلى هذه الشاكلة يمضي كمال أبو ديب في تحليله البنيوي لقصيدة أخرى لأبي نواس عدتها ثلاثة عشر بيتاً ومطلعها :

غننا بالطلول كيف تلينا واسقنا نعطك الثناء الثمينا

فيرى أن بنية هذه القصيدة تتشكل من ثنائية ضدية أساسية هي الطلول/ الخمرة وتمثل الطلول كونا متكاملاً ذا أبعاد متصلبة إلى حد بعيد في التراث الشعري النفسي - الفكري - أما الخمرة فإنها تجسد الكون البديل الذي شحن القصيدة إلى بلورته وتأسيسه»[1] .

ثم يقول : «الكون الذي تملؤه الخمرة إذن كون من التنامي والضوء والتواصل والغبطة ، كون سماوي فسيح ، هو الكون النقيض للعالم التراثي الثقافي وهو الكون النقيض كذلك لعالم التراث الأخلاقي - الديني . لكنه ليس نقيضاً فقط بل انه كون بديل أيضاً ، ومن هذه الحقيقة بالضبط تنبع ثورية الرؤيا التي تختفي وراءه وجذريتها»[2] .

(١) المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٢) المصدر السابق ٢٠٨ .

وهكذا وجد أبو ديب ضالته المنشودة في هذا المنهج البنيوي المكرور الذي أتاح له التعبير عما يرجوه من تحطيم التراث الديني والخلقي واللغوي بزعم أنه يحلل هذه الأشعار وفق أسس النقد البنيوي .

ويتجلى الحقد على التراث الديني في تكرار كلمات الرفض والتبديل والإحلال في ثنايا التحليل النقدي البنيوي كقول أبي ديب في الصفحة التالية للنص الذي نقلناه عنه آنفاً : «بعد أن طورت القصيدة هذا التصور البديل للكون الديني تطور تصوراً بديلاً للكون الثقافي نفسه»[1] .

والعجيب أنهم يحملون الألفاظ فوق ما تحتمل ويؤولونها وفق أهوائهم وأمنياتهم متسترين بهذه القواعد البنيوية ليظن الناس أنهم إنما يطبقون منهجاً جديداً في تحليل الشعر ولا يعبرون عن آرائهم ومعتقداتهم .

والحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها أن أعلام النقد الجديد الاتباعي لنظريات الغرب في عالمنا العربي يبحثون في التراث الشعري العربي عن كل ما يؤكد ارتباط الإبداع الأدبي بالخروج على الدين ورفض التراث ويلخص هذا الموقف قول أدونيس» : «إن الشعر العربي لم يبدأ بالنهوض إلا حين بدأ الشاعر يقيم مسافة بينه وبين الأيديولوجية الدينية من جهة وبينه وبين «الجماعة» بالمعنى الديني من جهة ثانية ، أو حين بدأ الانفصال بتعبير آخر بين الذات والجماعة في محاولة من الشاعر لاستعادة ذاته الضائعة في الجماعة وفي الدين .

في هذا الانفصال أخذ الشاعر يدخل العالم المحرم ويرفض الأشكال والأفكار المسبقة ، وإذا كان هذا الانفصال عزله عن الجمهور الوارث القديم فقد وصله بجمهور ناشيء جديد . وقد بلغت هذه الحركة من الانفصال والاتصال أوجها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في نتاج أبي نواس وأبي تمام»[2] .

من هنا أخذوا يبرزون هذه الثنائيات الضدية على هذا النحو في أشعار أبي نواس وأبي تمام ليؤكدوا بها فكرة الكون البديل الذي يحل محل الدين والأخلاق والتراث !

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٩ .

(٢) صدمة الحداثة لأدونيس ص ٢٣٥ - ٢٣٦ - الطبعة الرابعة - دار العودة - بيروت سنة ١٩٨٣ .

وإذا كان هذا صنيع أبي ديب وأدونيس وأشباههما بالشعر القديم ومحاولة تأويله على مقتضى الثنائيات الضدية المتكلفة فقد قام دارسون آخرون بتطبيق هذه المناهج الجديدة على الشعر العربي المعاصر .

ومن أمثلة ذلك التكلف تلك الدراسة التي جرت على شعر حمزة شحاتة إذ رأى الباحث أن أدب حمزة شحاتة يقوم على ثنائية الخطيئة والتكفير ، بل إنه يمضي في توهمه لفكرة الخطيئة الموروثة فيقول : «وراثة الخطيئة ليست حكراً على شحاتة فكل البشر فيها سواء ، وهيمنة ذلك عليه ، ومن قبل شحاتة كان المعري يصطلي نار الإحساس بالخطيئة ولكن المعري حسم الموقف بصراحة وعزل نفسه عن الناس وحبس كل حواسه التي كات تغريه بالاحتكاك بهم ، فصار رهين المحْبسيْن الحسي والروحي وبذلك أعلن إدانة أبيه وقرر البراءة لنفسه :

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد !

ولكن حمزة شحاتة تورط مع الحياة على الرغم من احتراسه الشديد فوقع في الخطيئة معيداً بذلك قصة أبيه الأبدية»[1] .

فانظر كيف أدى الولع بتطبيق نظرية الثنائيات الضدية إلى هذا التوهم بل إلى هذا الخطأ الفادح المخالف للحقائق الواضحة . فليس هناك خطيئة موروثة يحملها البشر . . فهذه فكرة بعيدة عن الإسلام كل البعد ولا مكان لها إلا عند الذين يدعون أن المسيح عيسى بن مريم قد صلب لتكفير خطايا البشر . . والقرآن يقرر أن آدم عليه السلام قد نسي ما عهد به إليه ربه : ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾[2] . وأنه عصى نهي ربه له عن الأكل من الشجرة بتأثير وسوسة الشيطان . ثم تاب إلى ربه فتاب عليه واجتباه : ﴿وعصى آدم ربه فغوى . ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾[3] .

فلا مكان في التصور الإسلامي للإحساس بخطيئة موروثة لابد من التكفير عنها ، وكل إنسان مسئول عن عمله وحده : ﴿ألاّ تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا

(١) الخطيئة والتكفير ص ١٤٩ للدكتور عبدالله الغذامي .

(٢) سورة طه ١١٥ .

(٣) سورة طه ١٢١ - ١٢٢ .

ما سعى وأن سعيه سوف يُرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾[1] ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا﴾[2] .

ومن هنا كان التكلف بادياً ، وكانت المحاولة شاقة لإثبات قيام أدب حمزة شحاتة على الثنائية الضدية الخطيئة والتكفير . أنظر إلى تأويله لقول حمزة شحاتة :

فما لي وقد عقْتُ السلامة موردا ... وأعرضتُ عن أسبابها طالبا كبْرا

فيرى أن هذا البيت يوضح قصة الخطيئة الأولى إذ عاف آدم - يريد حمزة شحاتة - السلامة (الفردوس) وأخذ بالكبر مركباً له ، والكبر أحد هدايا الشيطان لابن آدم.[3] .

وهذا إدعاء عريض وتحميل للألفاظ مالا تحتمل . فمن قال إن السلامة تعني الفردوس . ومن قال إن هذا البيت يعني الإحساس بالخطيئة الأولى لآدم . والمعنى الواضح للبيت بعيدا عن الثنائيات الضدية - أن الشاعر يقرر أنه لم يرض بالسلامة في الخمول . . بل تطلع إلى معالي الأمور التي قد تجلب عليه المتاعب بدليل قوله في البيت التالي :

تبدلت من عزمي وجهل شبيبتي ... حجى لا يرى إلا المساويء والنكرا

لكن الناقد الملتزم بقواعد المنهج البنيوي القائم على الثنائيات الضدية يرى في هذا البيت رأياً غريباً يتفق مع ثنائية الخطيئة والتكفير فيقول : «اكتشف آدم العقل وهو مصدر شقاء وهو بديل لزمن البراءة (العزيمة وجهل الشبيبة ، أي صفاء الحياة الأول)»[4] .

والمعنى الواضح لهذا البيت أن الشاعر انتقل من مرحلة الشباب المليئة بالحركة والنزوع إلى مرحلة النضج واكتمال العقل الناقد لما حوله المكتشف للأخطاء والمعايب !

وهكذا يؤدي الحرص على اتباع النظريات الوافدة إلى مثل هذا التصنع المفسد لمعاني الشعر الذي يحوله إلى إشارات ورموز لم تخطر ببال الشاعر .

بل إن هذا المنهج التأويلي المتعسف لم يقتصر على شعر حمزة شحاتة بل امتد إلى

---

(١) سورة النجم ٣٨ - ٤١ .
(٢) سورة الإسراء ١٣ .
(٣) الخطيئة والتكفير ص ١٣٥ .
(٤) المصدر السابق ص ١٥٣ .

نثره الذي هو جزء من أدبه ، يقول حمزة شحاتة : «عندما سألتني جريدة البلاد مَنْ أنت ؟ ذهلت لأني لم أجد في حياتي كلها ما يعينني على أن أعرف مَنْ أنا . . نعم وبمزيد من المرارة والخجل والحيرة والضياع : مَنْ أنا» .

فيعلق عليها الباحث المتبع للنظريات الجديدة بقوله :

«لم يستطع حمزة شحاتة أن يجيب البلاد عن سؤالها وعكس السؤال إلى نفسه ، لأنه ليس هو حمزة شحاتة كما لقبه أهله وكما أراد له مجتمعه إنه النموذج - يريد آدم - كما أراد له قدره الذي لا مفر منه»[1] !

إلى هذا الحد يبلغ التعسف في التأويل . . حتى يوهمنا أن الرجل لم يكن يعرف من هو ، بينما أراد حمزة شحاتة أن يقول :

«إنه لم يجد في سجل حياته من الأعمال ما يضف به نفسه بوصف معين ، وهذا من قبيل التواضع والحياء وهضم النفس . وإلا فقد كان يستطيع أن ينتمي إلى عالم الأدب والصحافة ويصف نفسه بما يشاء من الأوصاف .

أما أن يكون يجهل اسمه . . ويتوهم أنه وارث خطيئة آدم ليس إلا . . فهذا من عجائل التأويل البنيوي الذي يجتهد في الإيحاء بالفكرة وإرغام الناس على قبولها بكثرة تكرارها . ومن هنا نرى الباحث الفاضل يورد رسالة لحمزة شحاتة وجهها إلى ابنته ثم يعلق عليها بقوله : «فالخطيئة الأولى تستحوذ عليه ويتردد في الرسالة وقعها من خلال الشكوى من أخطاء الآخرين ، مما جعل حمزة شحاتة حامل الأعباء وارث الخطيئة»[2] .

والعجيب أن البحث كله يدور على هذا المحور ويتجه هذا الاتجاه الخاطيء في التأويل . وما قولك فيمن يتمنى أن ينال درجة الشهادة في سبيل الله ؟ هل من الضروري أن يكون طلب الشهادة في سبيل الله مبنياً على الإحساس بالخطيئة الموروثة والرغبة في التكفير عنها ؟

إن هذا ما أكده الباحث بقوله : «ليس بعد هذا لأحد أن يشك بوعي شحاتة بالنموذج وإحساسه بالخطيئة ثم بتحمله لها واعياً أو غير واع . فهو كما قال عن نفسه قد

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٥ .
(٢) المصدر السابق ص ١٥٨ .

أصبح مسئولاً عن خطايا البشرية وليس لمن هذا حاله إلا التكفير . ولذلك تمنى حمزة شحاتة - رحمه الله - أن يحظى بالموت استشهاداً ليكون ذلك كفارة له وهذا ما قاله لابنته في الرسالة رقم ٢٠ ص ٥٤ : «لقد بلغت من العمر والتجربة والمعرفة بالحياة ما لا أتطلع بعده إلى مزيد غير موقف الجهاد والشهادة في سبيل الله أدعو الله مخلصاً صادقاً أن يحقق لي هذه الأمنية» ، لقد كان يتمنى ذلك من الله وكان يحث ابنته شيرين على أن تسلك نفس المسلك فيقول لها : «ألا تتحدثين إلى نفسك بهذا ؟ ألا تجعلينه موضوع الحوار بينك وبين الشابات لتنيري به ظلمة نفوسهن» . . فالاستشهاد إذَنْ هو الحل التام لمشكلة الخطيئة وما دون ذلك فليس بكاف . وهذا معنى قوله : «لا تكفي الندامة لمحو أثر الذنب . التكفير هو الذي يكفي» .

وهذا تهويل عجيب وتحكم في توجيه النصوص وتأويلها لتوافق مذهبا معينا دون اعتبار لدلالاتها اللغوية ولا سياقها الذي صدرت فيه . . فالرجل يقرر أنه لم يَعُدْ له من غاية يتطلبها بعد أن بلغ من العمر والتجربة والمعرفة بالحياة مالا يتطلع بعده إلى مزيد - إلا أن يتمنى أن يرزقه الله شرف الجهاد وفضل الاستشهاد . وتلك أمنية سبق إليها خير الخلق وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم إذ قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في كتاب الجهاد من صحيحه باب تمني الشهادة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه : «والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»[1] .

وفي أخبار عمر رضي الله عنه أنه كان يدعو فيقول : «اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك والموت في مدينة نبيك» .

ومن هنا لا نستطيع قبول الربط بين تمني الشهادة في سبيل الله - وهي أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه - وبين الإحساس بالخطيئة الموروثة كما ادعى الباحث الفاضل !

إن هذه الأمثلة التي لا نستطيع في هذا المجال إيراد المزيد منها تكشف عن المحنة التي وضع فيها هؤلاء النقاد الاتباعيون أنفسهم حين أخذوا على عاتقهم تطويع النصوص العربية القديمة والجديدة وفق هذه البدع النقدية الأوربية التي رجع عنها أصحابها ولم

(١) صحيح البخاري كتاب للجهاد (باب تمني الشهادة) ٢/ ١٣٧ بحاشية السندي .

تكن تمثل لهم إلا نزوة طارئة استنفدت أغراضها فتحولوا عنها إلي غيرها كموضات الأزياء سواء بسواء !

والخطر الأكبر هو أن يحاول بعض المتبعين لهذه النظريات أن يطبقوها على تأويل آيات الكتاب الكريم أو أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - أنظر مثلا لقول أدونيس في كتابه صدمة الحداثة :

«خذ مثلاً هذه الآية : ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة : ١٨٧) فهي تسمى شيئاً باسم شيء آخر يختلف عنه . إنها تغير الوظيفة العادية المنطقية للغة أي تغير طبيعة اللغة ولا نقدر أن نفهمها إلا إذا نظرنا إليها من منظور غير عادي وغير منطقي»[١] .

وهذه بوادر سيئة لمحاولة هؤلاء الأتباع التسلل إلى مجال تأويل آيات القرآن بمقتضى نظرياتهم هذه . فبدلاً من أن يفهم الآية على مقتضى القواعد البلاغية من الاستعارة التصريحية أو التشبيه البليغ تراه يجنح إلى القول بتغيير وظيفة اللغة وعدم منطقيتها .

وهذا أكبر الخطر الذي نخشاه من الولع بتقليد هذه المواهب الوافدة .

خطر التعقيد وفقد التواصل :

وهناك خطر شديد ينشأ عن هذه الاتباعية المنساقة بلا وعي ولا قدرة على المراجعة والانتقاء والانتقاد . . وهو تحول النقد إلى مصطلحات وإجراءات معقدة يستأثر بها البعض ولا تفهم عند الكثرة الكاثرة من جمهور المتذوقين .

ونظرة واحدة إلى قائمة المصطلحات التي يكثر تكرارها لدى أتباع نظريات النقد الجديد تدل على ما أصاب النقد من غموض فقد به بديهة المعرفة ولذة التذوق ووضوح الرؤية . . فكلهم يرددون مصطلحات دي سوسير اللغوية ومصطلحات «بيرس» السيميائية ومصطلحات «بارت» وشتراوس وتشومسكي وجاكوبسن ودريدا وأمثالهم من نجوم البنيوية والسيميائية والتشريحية والتفكيكية وغيرها من المقولات التي تسحر ألباب الأتباع المبهورين في عالمنا العربي . .

(١) صدمة الحداثة ٢٩٦ - ٢٩٧ (مرجع سابق) .

وحتى تكون دعوانا قائمة على الوقائع الملموسة فإنا نورد بعض الأمثلة لما ينشر على الناس من إجراءات النقد الاتباعي الجديد وتحليلاته . .

فهؤلاء الاتباعيون يفخرون بما حفظوا من مصطلحات نقدية جديدة ويزعمون أن بإمكانهم الكشف عن آفاق النص بما لم يستطعه الأوائل !

يذكر أحدهم رأى الباقلاني في بيت امريء القيس :

ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت   عليَّ وآلتْ حلْفَةً لم تحلل

حيث قال : «لا فائدة لذكره لنا أن حبيبته تمنعت عليه يوماً بموضع يسميه ويصفه» .

ثم علق الناقد الاتباعي على رأي الباقلاني بقوله :

«إن ما أزعج الباقلاني هو أنه أصيب بالعمى أمام البيت لأن وسائله النقدية لا تؤهله لتحليله ! »[1] .

نعم . . الباقلاني مصاب بالعمى أمام النصوص لأنه لم يكن يملك ما امتلكه البنيويون والسيميائيون والتفكيكيون وأشباههم من الذين يقفون أمام البيت الواحد فيكتبون عنه صفحات مطولة لا يفهمها أحد سواهم . . صفحات حافلة بالرسوم والجداول والإحصائيات . . وتعجب قائلاً : كل هذا أمام بيت واحد . . فما بالك بالوقوف أمام القصائد المطولة .

فانظر كيف يحلل هؤلاء النصوص . . وكيف يستعرضون مصطلحاتهم الغريبة وإجراءاتهم العقيمة التي لا تنتج كشفاً عن حقيقة ولا تذوق لجمال .

كتب الناقد المغربي الدكتور / عبدالرحمن بوعلي الأستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الأول بالمغرب مقالاً في العدد الأول من مجلة العرب والفكر العالمي الصادرة في شتاء ١٩٨٨ ميلادية عن مركز الإنماء القومي ببيروت عنوانه : «النص الشعري» بدأه بذكر ملامح المنهج السيميائي والسوسيولوجي حيث عرفنا أن المنهج السيميوطيقي يرتبط باسم عالم مشهور جدا - كما يقول - هو «شارل سندرس بيرس» المولود عام ١٨٣٩م والمتوفى

(١) الأدب والغرابة لعبد الفتاح كيليطو ص ٢٤ .

عام ١٩١٤ . وشهرته تأتي من كونه متعدد الاختصاصات فهو مختص في علم الفلك وفي علم الأرض . . وهو أيضاً فيلسوف له عناية بفلسفة الذرائعية وهو أيضاً فيزيائي قام ببحوث جريئة حول حساب الجاذبية . وقد ذكر الكاتب بعض المصطلحات السيميوطيقية والسوسيولوجية ثم انتقل إلى التطبيق على نص شعري لأحد الشعراء المغاربة المعاصرين.

وقد أخبرنا أنه سيتبع في تحليله للنص العناصر التالية :

١ - النص بين الدلالية والتواصلية .

٢ - تقطيع النص .

٣ - المستوى التركيبي في النص .

٤ - التحليل السيمي - السيميائي - للمكون السردي .

٥ - الخطاطة السردية .

٦ - النص في ضوء التحليل السوسيولوجي .

أما النص الذي ستجرى عليه كل هذه الإجراءات المهولة فهو لشاعر اتباعي يسمى أحمد بليداوي فهو بعنوان : المظاهرة . وفيه يقول :

الشارع خاو وبذيء .
١ - بسماء الشارع قرص الشمس رديء
ليس يساوي أكثر من عشر فرنكات !
وثلاث سحابات عانسة تسقط مستسلمة
في الجيب الأول للسروال !
٢ - سيارة «فورد» تنبطح بشكل فاشي مثل سحاقية
قطرة ظل آسنة تتدحرج فوق المقعد
عبرت عينٌ قبعتي شزرا ثم التصقت بجناح سنونو
وعيون أخرى خلف الباب
تترقب أن تعبر من ثقب المفتاح
٣ - ردف مذعور في الخمسين لرئيس المجلس
يتلفت إليّ وقد أومأت بصمتي بصهيلي وبمنقاري لزجاج المدخل

الردف المذعور تقزز مندهشا من صورته في واجهة البلدية تمضع علكة .
٤ - تباً للشمس إذ لا تملك أن تدفيء ردفاً في الخمسين لرئيس المجلس .
مع ذلك يوجد تحت الشمس جديد !» .

هذا هو النص الخطير الذي جرب فيه أستاذ النقد الجديد كل أسلحة وأجرى علي هذه العمليات المعقدة ليكشف عما فيه . .

ولو كان الأمر للبديهة لقالت إن هذا لغو فارغ وهوس لا وعي معه . . وكلمات مرصوصة ليس وراءها فكرة ولا تجربة . .

ولكن هؤلاء المجددين يعرفون ما لا نعرف . . وهم ليسوا كالباقلاني الذي اتهمه بعدم امتلاك الوسائل التي تمكنه من تحليل النصوص . .

يقول الناقد وأستاذ النقد الدكتور عبدالرحمن بوعلي تحت عنوان «النص بين الدلالية والتواصلية» :

«يتشكل النص الشعري لأحمد بليداوي من علامات عرفية وكما هو معروف فإن بليداوي في ديوانيه الصادرين قبل هذا النص «سبحانك يابلدي» - لاحظ الجرأة المذمومة في تحريف الكلمات الإسلامية فالتسبيح لله وحده وليس لبلد ولا لشخص - و«حدثنا مسلوخ الفقروردي . وفي النص المختار هنا «المظاهرة» يكسر خطية العلامات العرفية بإعطائّها شكل علامات وصفية ولكن بالرغم من ذلك فإنه لا يتجاوز ذلك إلى إعطاء شكل للنص الشعري بحيث يصبح هذا النص كله علامات فردية تحيل إليه . . وقد نقول عن نص المظاهرة : إن الشكل الخارجي رسم بقصدية إظهاره . فالسطور في عدم انتظامها عمودياً تظهر وكأنها سطور متموجة ولعل لهذا علاقة بالمعنى الذي يفيده النص الشعري . لنقم بفحص أولي للنص الذي أثبتناه آنفاً ولكن كموضوع مباشر ويجب أن ننظر إليه بغض النظر عن كل معرفة يمكن أن توجه أو تحرف تحليلنا معنى ذلك أننا سننسى حاليا أنه نص للشاعر أحمد بلبداوي وأن له موضوعاً خارجياً بالنسبة لنا وبالنسبة لأي مؤول مباشر فإن النص موضوع وحيد وقائم الذات وهو بتعبير «رولان بارت» : «لذة فقط» !

ولا نستطيع أن نمضي في نقل هذا التحليل الثقيل المتكلف الذي ملأ صفحات عدة . . لكننا نقف أمام هذا التقليد الأعمى وهذا الالتزام الحرفي بكل ما يقوله أئمتهم الذين امتلكوا قلوبهم وعقولهم . . فما معنى أن تتناسى أن هذا النص لفلان . . وما فائدة هذا التناسي الأحمق ؟

لقد قالوا لهم إن المؤلف يجب أن يموت ويختفي . . وأن النص ملك لقارئه وليس لكاتب فانصاعوا لهذه المقولات دون مناقشة ولا تأمل . .

إنني حين أقرأ شعراً للمتنبي أربط بينه وبين شخصيته وعصره وأفهمه على هذا الأساس . . وكذلك سائر الشعراء . . وما بال هؤلاء النقاد يحرصون على إبراز أسمائهم ونسبة أعمالهم إليهم . . . ولا يميتون أنفسهم كما يميتون أصحاب النصوص عند تحليلها؟!

وعندما يطبق الناقد منهج السيموطيقا كنظام للقراءة على هذا النص – الذي لا يستحق أن يسمى نصاً – يرى أن السيميوطيقا تتيح لنا تحليل البنية الشكلية لهذا الموضوع المباشر وذلك بمساعدة علم النحو وعلم المنطق . وإذا أخذنا عنوانا النص «المظاهرة» نفهم منه أنه اسم ملفوظ خارج سياق الجملة ونفهم أنه يؤدي وظيفة علامتين ، فهو من جهة أولي علامة عرفية ، أي ينتمي إلى نسق العلامات اللغوية وهو من جهة أخرى علامة قرينية أي أنه يميل إلى موضوع . أما إذا نظرنا إلى العلامات اللغوية الواردة في النص في استقلال عن وظيفتها داخل النص فسيكون بإمكاننا أن نستخرج بنيها الشكلية فالتحليل السيميوطيقي يسعفنا في استخلاص قيمة العلامات والتحليل عن طريق المنطق يظهر لنا توزيعها بواسطة خطوط عمودية تفصل المركبات الاسمية عن المركبات الفعلية»[1] .

هل فهمت شيئاً أخي السامع – من هذه التهويلات والتحيليلات . . علامات ووظائف وخطوط عمودية . . كأنما نحن أمام مسائل رياضية أو ألغاز تبحث عن الحل . . فإذا أردت أن تشعر بالغربة عن الناقد وتفقد التواصل معه فاستمع إلى قوله :

«ونحن إذ تتبعنا النص الشعري علامة علامة فإننا سنجد أن القرائن هي العلامات الغالبة وتأتي بعدها العلامات العرفية وأن ما نسميه في السيميوطيقا بالعلامات الأيقونية

(١) العرب والفكر العالمي ص ٨٤ .

- لاحظ التسمية المسيحية - أي العلامات التي تشبه الموضوع الممثلة له - هي أشبه ما تكون منعدمة في النص ، ومعنى ذلك أو نتيجة له فإن مجموع القرائن لها علاقة بالمؤول الدينامي الذي ينبغي أن يستنجد بالمؤرخ واللغوي الدلالي والسوسيولوجي»[1] .

ويمضي قائلاً : «إلى حد الآن حاولنا ونحن نقارب النص أن نتظاهر بأننا لم نفهم النص وبعبارة أخرى فإننا لم نستنجد بالمؤول النهائي لأن المؤول الدينامي هو الذي سيفسر لنا ما يفهم من «الشارع الخاوي والبذيء» و«قرص الشمس الرديء» و«السحابات العانسة» .

ومن الأنا المتكلمة في الخطاب الشعري داخل النص» .

وهكذا نجد أنفسنا وسط أمواج متلاطمة من الاصطلاحات الغامضة والتعبيرات التعسفية التي لا يفهمها إلا قائلها . . ونجد أنفسنا في حيرة سببتها لنا نزعة التقليد الأعمى والتطبيق الحرفي لقواعد وأسس غريبة عن فكرنا وثقافتنا وأدبنا .

فإذا شئت أن تدرك عقم هذه المناهج الوافدة وعدم غنائها في الكشف عن حقيقة النص - وإن هولت علينا بهذه الإجراءات والعناوين الضخمة - فاستمع إلى قول هذا الناقد عن هذه القصيدة اللا معقولة العابثة في ضوء التحليل السوسيولوجي - أو الاجتماعي بلغتنا العربية ، إنه يقول :

«مثل أن نتابع تحليل هذا النص الشعري من زاوية النظر السوسيولوجية - أي باعتباره كلية متجانسة العناصر ، أو بنية دلالية حسب اصطلاح «جولدمان» نجد أنفسنا مطوقين بعدة محاذير يجب التنبيه إليها ومنها :

١ - أن هذا النص الشعري ليس إلا جزءاً من إنتاج الشاعر فهو لا يملك الكفاية اللازمة للتحليل ولو كان الأمر يتعلق بالإنتاج الشعري للشاعر لأمكن ذلك .

٢ - أن هذا النص لا يعبر بشكل دقيق عن الوعي بنوعية القائم والممكن وإن كان يُخْفي في التعارض بين المقاطع الثلاثة الأولى مقاطع الإطار والمقطع الرابع والأخير مقطع إعادة التوازن نوعاً جنينياً من النوعي يمكن تسميته «الوعي الجدلي» هذا الوعي الذي

(١) المصدر السابق ص ٨٥ .

يعطي القصيدة دلالة خاصة هي الدلالة المعبر عنها ضمنياً بالتجاوز أي تجاوز الإطار .

٣ - أن المنهج السوسيولوجي لا ينظر إلى الإنتاج الأدبي إلا بوصفه جزءاً من بنية الإنتاج الثقافي ولا ينظر إلى هذه الأخيرة إلا بوصفها جزءاً من بنية أخرى أشمل هي : بنية الواقع الاجتماعي ، وهذه النظرة تستلزم الانتقال الدائم للناقد أو المحلل من البنية الأدبية إلى البنية الاجتماعية ومن هذه الأخيرة إلى البنية الأدبية» .

وهكذا شغلنا هذا الناقد بهذه المصطلحات بدون أن ننال ثمرة من عناء هذه الإجراءات .

إنهم يريدون للنقد أن يتحول إلى صناعة خاصة لا يجيدها إلا أفراد قلائل ولا يفهمها أحد . . وهم يتلذذون بأمارات الدهشة تبدو على ملامح قرّاء هذه الألغاز وعجزهم عن فهم هذه التعقيدات الكلامية . وانظر إلى هذه العنت في استنقاط الألفاظ في قول هذا الناقد : «لنأخذ الجملة التالية : وثلاث سحابات عانسة تسقط مستسلمة في الجيب الأيمن» لا نستطيع أن نفهم هذه الجملة الشعرية - لاحظ هٰذه التسمية العجيبة - إذا إذا أوضحنا السمات المتضمنة في «المعجمانيات» : ثلاث - سحابات - عانسة - مستسلمة - الجيب الأيمن - ونعتقد أن هذه المعجمانيات (أو العلامات في التحليل السيميوطيقي) توضح لنا المعاني المتقصدة فيها . فثلاث عدد يشير إلى القلة وله حمولة دينية (لعله يريد عقيدة التثليث المسيحية) والسحابات غيوم من مميزاتها كظواهر طبيعية أنها سبب المطر لكن الشاعر لا يحيلها كذلك وإنما يضيف إلى العلامة الأولى «السحابات» علامة ثانية تفيد العقم وهي العلامة المعرفية «عانسة» فالمرأة العانس هي التي تبقى بدون زواج وبالتالي بدون إنجاب والعلاقة بين المرأة العانس والسحابة العانس هي في النتيجة لأن الأولى لا تنجب الأطفال والثانية لا تنجب المطر . إذن هناك تعارض أولي وهو التعارض الذي نسجله بين السحابات وصفة العنوسة وهو تعارض يبرز كتناقض داخل الجملة نفسها . وهذا التناقض يسري على النص الشعري كله»[1] .

أليس هذا تحكما وتعسفا يفرض فيه الناقد فهمه للنص على الآخرين دون أن تسعف اللغة أو العلاقات بين الألفاظ والمعاني عليه . فمن قال : إن العانس مرادف

(١) المصدر السابق ص ٨٨ .

للعاقر . أو أنها نقيض للولود؟ العانس تناقض ذات الزوج ولا يلزم أن تكون ذات الزوج ولوداً . . فالمرأة بعد أن تتزوج إما أن ترزق الولد وإما أن تكون عاقراً . .

لكن الناقد يجبرنا على قبول مراده من هذه اللفظة ليتم له تحقيق الثنائيات الضدية التي أولع بها هؤلاء المقلدون . أما الحمولة الدينية للفظ «ثلاث» فما أراها ترد على خاطر مسلم . . فليس في الإسلام تثليث . . بل هو دين التوحيد الخالص هذا ولم يف الناقد بوعده أن يوضح لنا «السمات المعجمانية» لكلمات مستسلمة والجيب والأيمن . . ولعله لم يجد تجاهها تبريراً يحقق له علاقة التعارض في هذه الجملة الشعرية كما يسميها .

إنه لا مكان في التحليل «السيميوطيقي» لمصطلحاتنا النقدية الناصعة كالكناية الناصعة كالكناية والاستعارة والتشبيه . . فتلك بضاعة كاسدة لدى هؤلاء النقاد الاتباعيين . .

ولو طبقنا هذه المصطلحات العربية لوجدنا الأمر يسيراً ، فالسحابات تعد استعارة تصريحية ينبغي أن نبحث عن طرفها الأول المحذوف وهو المشبه . والعانسة استعارة مكنية حيث شبه السحابة غير المرغوبة- بالفتاة العانس التي لا تجد لها خاطباً . وهكذا يمكن تفسير كل هذه الألفاظ بتطبيق هذه المعايير العربية . . وهي كفيلة بأن تمدنا بالتصور الواضح لمراد الشاعر . . وللأفق الذي تتحرك فيه قصيدته - مع أنني أضن بمعاييرنا العربية المشرقة بأن تطبق على مثل هذا الهذر السخيف واللغو الجنوني الذي لا معنى له ولا هدف .

ثراء النقد العربي :

ولعل هذه الوقفة مناسبة لنتحدث عن ثراء النقد العربي القديم بالوسائل والقواعد اللغوية والبلاغية والنقدية والذوقية الرفيعة . . لكن هؤلاء يزهدوننا فيه ويصرفوننا عنه . . ويجروننا جَرّاً إلى ساحات عبثهم ولغوهم وضجيجهم الذي لا طائل من ورائه .

وألفت النظر هنا إلى أن تراثنا النقدي لم يقرأ قراءة فاحصة كاملة بعد . . فالنقاد المعاصرون يأخذون منه ما يناسب أهواءهم واتجاهاتهم . . حتى لقد حاول بعضهم أن يجعل من عبدالقاهر الجرجاني ناقداً جديداً . . يتواءم مع مقولات دي سوسير وتشومسكي وجاكوبسن وأشباههم . . وهم يتخذون من تأويل نظرية النظم التي

أوضحها الجرجاني سلاحاً له أكثر من حد يقطعون به ما يشاءون !

وكذلك يصنع آخرون بنظريات حازم القرطاجني ويحاولون التقريب بينه وبين هذه المذاهب الطارئة . .

ولو أنهم قرأوا النقد العربي القديم قراءة متأنية موضوعية منصفة لوجدوا فيها غناء وثراء وأصالة وسبقا وصدقاً وبعداً عن التكلف والادعاء !

فهل جال بخاطر هؤلاء المنصاعين لأهواء شذاذ النقاد في الغرب أن من نقادنا القدماء من عرف ظاهرة «تراسل الحواس» التي يتشدق بها الرمزيون ويدعون أنهم هم الذين ابتكروها ؟ إن هذا السبق موجود في تراثنا النقدي وقد عثرت عليه في رسائل الأفضليات لابن الصيرفي المتوفي سنة إثنتين وأربعين وخمسمائة من الهجرة وقد قام بتحقيقها الدكتور وليد القصاب والدكتور عبدالعزيز المانع وقام بطبعها مجمع اللغة العربية بدمشق عام ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لعام اثنين وثمانين وتسعمائة وألف من الميلاد .

وقد جاء فيها هذا العنوان : «في تناوب الأعضاء» .

«وهو مما يدل على تجديد الشاعر وقوة تصرفه ومضاء خاطره وقله توقفه . ومن أحسن ما جاء في ذلك قول أبي الطيب :

وجَحْفل ستر العيون غباره ... فكأنما يبصرن بالآذان

وقوله :

كأن الهام في الهيجا عيون ... وقد طُبعت سيوفك من رقاد

وحكى ابن رشيق قال : جلست يوماً إلى ابن حديدة الشاعر . . فسألني عن حال المكان الذي خرجت منه فوصفته وأفضى بي الحديث إلى ذكر غلام كان ساقياً فقلت في درج الكلام :

فشربتها من راحتيه ... كأنها من جنتيه

وقلت أجز فقال :

وشممت وردة خده نظراً ونرجس مقلتيه

فقلت : أحسنت وجودت شمك بالنظر كسماع أبي الطيب بالبصر حيث يقول :

خلقت صفاتك في العيون كلامَه كالخط يملأ مسمعي من أبصرا

وهذا وإن لم يكن من هذا الباب من كل جهة - يريد تناوب الأعضاء - فهو من أولى ما أورد معه . وكذلك قول مهيار :

خان بكاء العين أجفانه فناح والنوح بكاءُ الضم !

لأن النوح والبكاء ليسا عضوين .

ولابن رشيق في جواب كتاب :

أسمعت عيني ما اشتهت بلسان هاتيك اليراعَهْ

وقول الشريف الرضي :

عزني أن أرى الديار بعيني فلعلي أرى الديار بسمعي . .

ولأبي الطيب :

خير أعضائنا الرؤوس ولكنْ فضلتها لقصدك الأقدامُ

ولحسن بن عبدالصمد :

تعطي وسمعك بالملام مشنَّفٌ فكأن راحتك الكريمة تَسْمَعُ !

ولا حيُّوس :

قواف هي الخمر الحلالُ وكأسها لساني ولكنْ بالمدامع تُشْرَبُ

وقد أجادَ ابن القُمِّي وزاد بقوله :

ولي سَنَةٌ لم أدْر ما سِنَةُ الكرى كأن جفوني مَسْمعي والكرى العَذْلُ

ونظائره كثيرة»[1] .

لكن تناوب الأعضاء إن عثر عليه ناقد عربي . . فهو لا يرقى إلي درجة «تراسل

(١) الأفضليات لابن الصيرفي ص ٢٢٦ - ٢٣٠ .

الحواس» عند الرمزيين الفرنسيين . . فذاك عربي وهذا أعجمي . . والأعجمي عند المقلدين الاتباعيين خير من العربي !

حتى ظاهرة الخطأ في الرواية أو الانحراف المقصود التي يزعم النقّاد الجدد أن مذاهبهم هي التي اكتشفتها نجد في تراثنا النقدي أمثلة تصلح للدلالة على معرفة القدماء بها . فقد ذكر ابن الصيرفي في إحدى رسائل الأفضليات أن هشاماً الأحول قال : كنا عند الأصمعي فأخذ في شعر عبيدالله بن قيس الرّقيات فجعل ينشد حتى قال :

عاد له منْ كثيرةَ الطربُ فعينه بالدموع تنسجم

وإنما هي تنسكبُ . . فقال : يا فتيان أمرُّوها على الميم ، قال : فأمرَّها وتمم معه يقول ونقول على الميم حتى بلغنا إلى قوله :

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

فأراد قافية على الميم فلم يقدر عليها . ويعقب ابن الصيرفي على هذا الخير بقوله : إن من أعجب الأشياء توقف الأصمعي خاصة في قافية هذا البيت على الميم مع ما يروى عنه من قوله : إن الحشمة في كلام العرب بمعنى الغضب وحكايته عنهم : إن ذلك لمما يَحْشم بني فلان أي يغضبهم . فكان يلزمه أن يقول : إن حَشِموا . على أن أحسن ما قفى به هذّا البيت على الميم ما اقتضاه صدره فيقال :

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يَحْلَمون ان نقموا

ويقال في البيت الثاني :

وأنهم معدن الملوك فما تصلح إلا عليهم الأمم

ويجعل الأمم عوضاً عن العرب»[1] .

فقد أدى الخطأ في رواية قافية البيت الأول من القصيدة إلى تغيير قوافيها بما يثري المعاني ويولد أفكاراً جديدة .

ولا يلزم من هذا أن نبحث لكل نظرية مستحدثة عن شواهد في تراثنا القديم . .

(١) الأفضليات لابن الصيرفي ١٤٥ - ١٤٦ .

وإنما نريد أن نعيد إلى نقدنا القديم اعتباره وأن نقدر جهود أسلافنا الذين صاغوا نظريات هذا النقد صادرين عن ثقافتهم الأصيلة ولغتهم الجميلة .

نريد أن نتيح المجال للإبداع الحقيقي الباحث عن الجمال في الصورة والصياغة . . غير مسلوبي الإرادة وغير منساقين إلى ما يراه الغرب حسناً وجميلاً .

وإلا كان الأمر راجعاً إلى التقليد الذي لا يتأتى معه إبداع ولا انطلاق .

وكما قال الدكتور برهان غليون في كتابه «اغتيال العقل» : «إنه إذا كانت الجمالية قائمة في إبداع المعاني الفنية فإن جعل الحداثة في ذاتها معيارا للإبداع يعني غياب أية نظرية في هذا الإبداع الفني باستثناء نظرية النسج على منوال ما هو حديث أو ما هو باستمرار أحدث من السابق ، وهي نظرية إذا صح التعبير عبثية منوالية ، إن الإبداع في الفن كما في أي ميدان من ميادين النشاطات العقلية والاجتماعية لا يعني البدعة ، أي الأخذ بكل ما شاء الفنان من دلالات وارتباطات ، وإنما هو توليد دلالات جديدة خاضعة لضوابط ونواظم معطاة في كل فن أي هو إطلاق الطاقات الكامنة في نظام دلاليّ معين»[1] .

ويزيد الدكتور برهان غليون القضية وضوحاً إذ يقول :

«إن تحويل الحداثة ذاتها إلى معيار للإبداع يعني في الواقع فقدان أي معيار وتفسير الشيء بذاته . وهي لا يمكن أن تعني في النهاية إلا القدرة على استنساخ آخر ما يظهر في الغرب مصدر التجديد والتحديث والتسابق بين «المبدعين» على ذلك لتأكيد تفوقهم في الحركة الإبداعية وهذا لا يعني قتل أساس الإبداعية فقط ونعني به الذاتية ، ذاتية المبدع وذاتية الجماعة التي يأخذ العمل الفني قيمته منها ولكنه يعني أيضا قتل الإبداع ذاته وتحويله إلى مجرد تعميم لدلالات فنية وجمالية ظهرت في مركز الحضارة ، أي إلى بدعة ، وذلك حتى لو بدا ذلك للمقيمين في الأطراف نوعاً من الكشف والابتداع»[2] .

«وهكذا - كما يقول الدكتور برهان غليون - افتقد الإنتاج الأدبي الحديث لنظرية نقدية جمالية تغربله وتنقيه وتفرز فيه بين الغث والسمين ، والمجدد فعلاً والمقلد ، وافتقد

(١) اغتيال العقل للدكتور برهان غليون ص ٢٨٦ - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م - دار التنوير - بيروت .
(٢) المصدر السابق ص ٢٨٢ .

نظرة فلسفية تُلْقَى على الممارسة الفنية لتستمد منها قواعد جمالية جديدة تقود الفعالية الفنية الجديدة وتوجهها وتساهم في تطويرها في اتجاه التأصيل الثقافي . حتى إن تقويم التراث نفسه أصبح خاضعاً لمعيار التقليد «الجديد» وأصبح من قبيل المديح أن يقال : إن هذا الجانب أو ذاك من التراث يبدو وكأنه وليد اليوم أو بالأحرى كأنه مماثل لما في الغرب»[1] .

وذلك هو المأزق الذي وضع فيه المقلدون المتبعون لنظريات الغرب دون روية ولا تمحيص أنفسهم . . بل وضعوا الأدب العربي في مأزق . . فإما أن يساير هذه القواعد الصارمة التي يؤمنون بحتميتها . . وإما أن يحكم عليه بالتخلف والجمود والعجز عن مسايرة رَكْب الجديد . .

ونحن مع الدكتور برهان غليون إذ يوكد أن «نظرية الحداثة في الأدب لم تكن إلا غطاءً لغياب أية نظرية فعلية في الإبداع الفني والأدبي ولم يقم أصحابها بها في الواقع إلا بالدعاية لعملية موضوعية تجري بمعزل عن إرادتهم بل رغماً عنهم ، ولم يكونوا فيها إلا أدوات تستخدمها السيطرة الثقافية لتوسيع دائرة نفوذها . والسبب في ذلك أن نظرية الحداثة الأدبية اعتبرت الحقيقة الفنية خاضعة لنفس القوانين العلمية التي تحكم الواقع التجريبي واعتقدت أن قوة الفن وجماليته ليست نابعة من معاييره الذاتية والرمزية بقدر ما هي ثمرة للقيم العقلانية والأيديولوجية التي يحتويها . وقد عملت الأيديولوجيا الوضعية هنا كما في ميدان الأخلاق على التقليل من أهمية الاستقلال النسبيّ للمنظومة الرمزية الخيالية الخاصة بكل ثقافة»[2] .

إننا لا ندعو إلى الانغلاق ورفض التفاعل مع الثقافات والآداب . . بل ندعو إلى التواصل والاستفادة من كل جديد بشرط أن يتم ذلك باستقلال ووعي وندّية واستعمال للعقل وأخذ الجيد وترك الرديء فالكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها كما جاء في الأثر .

لكن المقلدين الاتباعيين في عالمنا العربي ينفرون من ثقافتهم الأصلية وتراثهم

(١) المصدر السابق ص ٢٨١ .
(٢) المرجع السابق ٢٧٩ - ٢٨٠ .

العريق ويصمون من ينتمون إليهما بالجمود والتخثر والانغلاق . . بينما يخضعون كل الخضوع لهذه البدع الجديدة ويتبعونها حذوك النعل بالنعل ، بل يتشددون فيها أكثر من أصحابها . . ويقاتلون من أجلها ويسخرون من كل من يدعوهم إلى مراجعة النفس ووقفة التأمل والتدبر . .

بينما يراجع المقلِّدون - بفتح اللام المشددة - أنفسهم حيناً بعد حين . . ويراجعون مواقفهم ويتراجعون عن الكثير منها . . فهذا الشاعر والناقد الرمزي «اليوت» قد تراجع عن كثير من مواقفه وآرائه في الشطر الأخير من حياته . . حيث أعلن إيمانه بدينه المسيحي الكاثوليكي . . بل أعلن أنه كلاسيكي في الأدب ملكي في السياسة . . وله أشعار تدل على هذا الموقف الجديد بينما يجمد المقلدون في العالم العربي عند شطر حياته الأول ويخفون هذا التحول الأخير أو يغضون من شأنه .

وهذا ناقد بنيوي شهير ، كثيراً ما يرددون الاتباعيون العرب اسمه ويستشهدون بآرائه - هو الناقد البلغاري الأصل الفرنسي الجنسية «تزفيتان تودروف» نراه قد تراجع عن كثير من المقالات البنيوية ودعا إلي إعلان فسادها في كتابه «نقد النقد» الذي ترجمه سامي سويدان وصدر في بيروت عام ١٩٨٦ عن مركز الإنماء القومي .

وقد هدف في كتابه هذا إلى التعرف إلى الأفكار الأدبية والنقدية في القرن العشرين وتمييز الأصلح والأصح بينها وتحليل التيارات الأيديولوجية للقرن المذكور انطلاقاً من ذلك وتحديد الأسلم والأثبت منها[١] .

وفي الفصل الأول من كتابه هذا يناقش مفهوم اللغة الشعرية في النقد الجديد ويفتتحه بقوله : «تغير موقفي إزاء الشكلانيين الروس» . . ثم يقول : «وخلال مرحلة ثالثة بدأت أنظر إلى الشكلانيين كظاهرة تاريخية لم يعد مضمون آرائهم هو الذي يهمني وإنما منطقهم الداخلي وموقعهم في تاريخ الأيديولوجيات»[٢] .

كما ناقش «تودروف» آراء «رولان بارت» الذي كان صديقاً له . . لكن ذلك لم يمنعه من نقد آرائه . . التي يقف أمامها الاتباعيون العرب خاضعين مذعنين .

(١) ص ١٦ من الكتاب المذكور .
(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

يقول «تودروف» : «إنني لا أشاطر «بارت» موقفه تجاه الحقيقة فللأدب علاقة بالحقيقة وللنقد أكثر من علاقة واحدة بها»[١] .

ثم يقول «تودروف» : «لقد كان لزعزعة خطاب الاختصاص من قبَل بارت» أثر إنعاش في جو الغطرسة والمزايدة الذي يميز طائفة المثقفين . ولكن إذاَ تجاَوزنا هذا الأثر الوقائي والسلبي إجمالا يمكننا أن نتساءل : ماذا يعني التخلي عن الخطاب الذي يتخذ من الحقيقة أفعاله ؟ أهو شيء آخر غير الانتساب إلى النسبوية المعمِّمة»؟[٢]

وفي مناقشة تودروف مع ناقد فرنسي يدعى «بول بنيشو» يلحظ أن هناك اعتقادا بنوع من التخيل الكلامي يسمى المنهج ، فالنقاد الجدد يعتقدون أنهم يتناقشون في المنهج ولديهم نزعة لوصف أي اكتشاف جديد بأنه منهج جديد .

ويجيب صاحبه قائلاً : «نعم أعتقد أن هناك إفراط اليوم في استخدام كلمة منهج لأنها توحي بفكرة مشروع علمي ، ويجري استعمالها في الواقع لتدل على أنظمة للتأويل مسبقة وعلى إجراءات تحكمية هي أحياناً على ما أعتقد مناقضة للفكر العلمي»[٣] .

ويرجع تودروف ليقول لصاحبه محاوراً : إنك تعتبر أن النقد الجديد لم يأت بأي جديد وأن الأفكار والافترضات هي ذاتها منذ مائتي عام وربما أكثر ؟

ويجيب محاوره قائلاً : إن النقاش في الحقيقة حول هذه النقطة صعب بسبب غموض مفهوم النقد الجديد نفسه إذ يجري إطلاق هذه التسميات على نزعات مختلفة جداً مدارية ، ماركسية تحليلية نفسية بنيوية سيميائية الخ . . ولا يمكن إنكار أن معظم هذه التسميات الملصقة إما أنها سبق استعمالها في الأجيال السابقة وإما أنها تحتوي تحت أسماء أخرى بعض البذور المبكرة في النقد التقليدي . لم يكن هذا النقد - التقليدي - يجهل تماماً لا الاعتبارات النفسيانية أو الاجتماعية ولا أخذ المدارات أو الأشكال والصور بعين الاعتبار . صحيح أن عصرنا قد افتتح في كل من هذه الاتجاهات نهوجاً جديدة يجدر تحديد خصبها في كل حالة على حدة ، إلا أنها من مدرسة لأخرى أبعد من أن تتطابق»[٤] .

(١) نقد النقد ص ٦٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٨ - ١٢٩ .
(٤) المرجع السابق ص ١٣٠ .

ويعترف هذا الناقد الفرنسي بأن هذه المناهج النقدية الجديدة لا تعني بالدلالة الظاهرة للنصوص ، وأنها تؤثر لغة متخصصة لا يمكن للكاتب العادي ولوجها مقلدة بذلك العلوم التجريبية . ويقول : «ويوشك النقد الأدبي في تصنعه لوضعٍ مماثل لذلك الذي في العلوم أن يقوض حقيقته الخاصة وأن يفقد الاتصال بموضوعه .

وفي ختام هذا الكتاب الخطير الذي ينبغي أن يقرأه دعاة التقليد لمذاهب الغرب في بلادنا قراءة واعية ، يبين لنا تودروف كيف راجع نفسه وكيف تغيرت مفاهيمه بعد لقاات وأحاديث مع مفكرين في مختلف بلاد العالم فيقول : «كانت هذه الأحاديث التي قادتني بين أسباب أخرى مجهولة منْ قبَلي إلى مراجعة مصطلحاتي عما هو الأدب وما ينبغي للنقد أن يكون تقع في الواقع َعلىَ أرض مواتية . فخلال هذه السنوات ذاتها كان فضولي يقودني نحو قراءة مؤلفات قديمة نتناول الموضوع الذي كان يشغلني إذ ذاك : الرمزية والتأويل . وكانت مؤلفات في البلاغة أو في علم التفسير - يريد تفسير النصوص - في الجماليات أو في فلسفة اللغة كنت قد قرأتها دون أي مشروع تاريخي كنت أبحث فيها بالأحرى عن لمحات لا تزال صالحة ، عن أضواء على الاستعارة أو التجسيم أو الإيحاء»[1] .

ثم يقول : «لقد أدركت إذن لكثرة ما قرأت من هذه الكتب القديمة أولا : أن إطاري المرجعي لم يكن الحقيقة المنزلة ، الأداة التي تتيح تقدير درجة الخطأ في كل من التصورات السابقة عن الأدب والتعليق على النصوص . . » .

ويعلن أنه كقاريء ليس لديه أي سبب للقيام باختيار وحيد ينفي ما سواه . . وأنه ينبغي ألا يكتفي في النقد بماذا قال ؟ وإنما يستكمل بـ : هل هو على حق ؟![2] .

ثم يقول تودروف : «إن تغيير صررتنا النقدية على هذا النحو ليس ممكنا إلا إذا جرى تحويل في الوقت نفسه للفكر المكونة عن الأدب . فمنذ مائتي عام ردد علينا الرومانتيكيون وورثتهم الذين لا يُحْصون - كل منها بشكل أفضل من الآخر أن الأدب لغة تجد غايتها في ذاتها . حان الوقت للرجوع إلى البديهيات التي من المفترض عدم

(١) المرجع السابق ص ١٤٥ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤٨ .

نسيانها : للأدب علاقة بالوجود الإنساني . إنه رتب لأولئك الذين يخشون الكلمات الكبيرة - خطاب موجه نحو الحقيقة والأخلاق . كان سارتر يقول : إن الأدب هو كشف للإنسان والعالم وكان على حق ولن يكون الأدب شيئاً إذا لم يتح لنا أن نفهم الحياة بصورة أفضل»[1] .

وهكذا كفر تودروف بمقولات الشكلانيين الذين يزعمون أن الأدب هو بنيته اللغوية وأنه لا صلة له بالحقيقة أو الدين أو الأخلاق ! ويبلغ تودروف غاية الشجاعة في جهره برأيه هذا الذي ينسف إدعاءات البنيويين المقلدين إذ يقول : «أدب وأخلاق؟! سيصبح معاصري . وأنا بالذات كنت أعتقد مع اكتشافي حولي لأدب مرهون بالسياسة - في بلغاريا - أنه يجب قطع أي صلة للأدب بكل ما عداه وصونه منه . إلا أن العلاقة بالقيم هي من صميم الأدب ، ليس لأنه من المستحيل الحديث عن الوجود دون الرجوع إليها فحسب ، وإنما أيضاً لأن فعل الكتابة هو فعل اتصال ، مما يتضمن إمكان التفاهم»[2].

هذه بعض مراجعات ناقد بنيوي شهير لنفسه . . واعترافه بأن مرجعه السابق لم يكن الحقيقة المنزلة . .

فهل يجد دعاة التقليد في مجتمعاتنا العربية لهذه المذاهب المستحدثة - شيئاً من الشجاعة أو الوعي لكي يعيدوا النظر فيها . . ويقللوا من انبهارهم بها وتعصبهم لها وسعيهم لنصرتها وإعلاء صوتها على حساب تخطئة تراثهم والإزراء بثقافتهم ولغتهم وأدبهم . . ؟!

إنها دعوة لتبين الأخطار التي تحقيق بهم وبأمتهم نتيجة لهذا التعصب المذموم وهذا القليد الأعمى وهذا التخليد لمذاهب بادت في مواطنها الأصلية وأصبحت سخرية للساخرين ؟

إن العالم يقاوم السيطرة الثقافية التي تعني التبعية والعجز عن المواجهة والمناقشة وقد سبق أن سمعنا بتنادي المثقفين والأدباء الفرنسيين بمقاومة السيطرة الوافدة اليهم من

(١) المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٥٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١٥٠ .

عواصم غربية أخرى . وأخيراً سمعنا عن تنادي المثقفين البريطانيين بتنقية اللغة الانجليزية ولغة الإعلام من الكلمات الفرنسية . أوليس من حقنا أن نتيح المجال لأدبنا العربي الأصيل ونقدنا البلاغي والذوقي الحافل بأن يحتل مكانه ويقوم بعمله في كشف النصوص وتذوقها بدلا من هذا العناء وهذا التكلف المهين الذي يمارسه أتباع نظريات النقد الجديد في مجتمعاتنا العربية .

إن هناك انقطاعا بين هؤلاء النقاد وبين جمهور المثقفين ومتذوقي الأدب . . ومن ذا الذي يصر على هذه الاجراءات التعسفية وهذه الإحصائيات والتراكمات والرسوم ليعرف ما يعنيه نص من النصوص ؟!

وأين ذهبت بديهة المعرفة وملكة التذوق البلاغي التي كانت تجعل المستمع للشعر العربي يتمايل طرباً وينتشي لذة وتخيلاً للآفاق التي يحلق فيها الشاعر ؟ فما بالك باستعمال القواعد البلاغية العربية الأصيلة القادرة على الاكتشاف والتحليل والتعليل . . بدلاً من هذا الهراء الذي لا ينال منه القاريء إلا الحيرة والعناء ؟!

إنها دعوة لعقد حلقات حوارية في النوادي الأدبية الثقافية للكشف عن حقيقة نقدنا الأدبي الأصيل . . ولإدراك المخاطر الناشئة عن هذه التبعية التحكمية التي لا يملك أصحابها فرصة للمراجعة أو المناقشة أو النقد أو تعديل الأفكار .

لعلنا نصل إلى كلمة سواء . . تجمع كلمتنا وتصون جهودنا وتقرب بين أذواقنا وتعيد إلينا ثقتنا بأنفسنا . . فلن يرانا الآخرون إلا أتباعاً لهم . . ولن يعترفوا لنا بندية ولا إبداع . . ما دمنا قد أبغضنا ثقافتنا ونفرنا من تراثنا واكتفينا بفتات موائد هؤلاء المولعين بالبدع وتغيير الأزياء والأفكار .

وقفة مع:
عالمي نيجيريا المسلمين البارزين
الشيخ عثمان فودي والشيخ آدم الإلوري
(حياتهما ومختارات من مؤلفاتهما العربية)

كتبه : عبدالرحمن أدويل - ترجمه : مصطفى سيد عبدالرحيم

إن تاريخ غرب أفريقيا لا يكون كاملاً إن خلا من إشارة للمجاهد الإسلامي العظيم شيهو عثمان دان فوريو ، والذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي ، وكذلك يكون تاريخ نيجيريا إن تجرَّد من ذكر هذا العالم الجليل الذي هزَّ جهاده كل أرض الهوس حتى استطاع تغيير نظامها المستبد إلى نظام الخلافة الإسلامية ، والتي دامت هناك حتى الغزو الأوروبي لشمال نيجيريا في أوائل القرن التاسع عشر .

وقد اختلف الناس في نظرتهم للشيخ ، فكان بالنسبة للكثيرين زعيماً دينياً ، بينما نظرت إليه فئة على أنه انتهازي سياسي ، وفئة أخرى على أنه إقطاعي قَبَلِيٌّ ، وكانت تلك النظرة تتوقف على مدى تقييمهم لجهاده المعروف عام ١٨٠٤ وماذا يعني ذلك الجهاد بالنسبة لهم . أما بالنسبة للعلماء وخصوصاً في مجال الدراسات العربية والإسلامية فإن الشيخ عثمان يعتبر عالماً فذاً واسع المعرفة ، ذائع الصيت ، وذلك نظراً لما له من أعمال أدبية متعددة في المجال المذكور ، فقد نسب إلى الشيخ أكثر من مائة وخمس عشر مؤلفاً في شتى المجالات من أهمها كتاب «إحياء السنة وإخماد البدعة» ، والذي وصف بأنه رائعة أدبية .

وعالم آخر من ذوي المستوى العلمي الرفيع والذي يحسد عليه ، وهو لا يقل شأناً عن الشيخ عثمان ، هو الشيخ آدم الإلوري ، وقد قام بنهضة كبرى ونشاط ملحوظ في مجال العلوم العربية في غرب نيجيريا بشكل لا يقل عما فعله الشيخ عثمان فودي في شمالها . فقد قام الشيخ آدم بتأسيس أول معهد عربي بشكل رسمي في غرب نيجيريا ، وكانت له أيضاً كتاباته العديدة في مجال الدراسات العربية والإسلامية .

ومما كتب عن ذلك العالم الجليل ما قاله د. أولاجونجو : «إن معرفته الواسعة وإلمامه بالعربية قد مكّناه من الكتابة بغزارة وعمق في مجال الأدب العربي في نيجيريا في وقت كدنا نجزم فيه بأن أحداً لا يستطيع أن يفعل مثل ذلك» . وللشيخ آدم أكثر من ستين مؤلفاً في مختلف المجالات منها ما هو في التاريخ أو التربية أو التصوف أو الدين أو الفلسفة ، وجميعها باللغة العربية .

ومن تلك المؤلفات نذكر كتابه المشهور بعنوان «الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا» ، والذي نحن إن شاء الله بصدد مقارنته بكتاب الشيخ عثمان «إحياء السنة وإخماد البدعة» .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أننا لسنا بصدد المقارنة بين العالمين الجليلين من حيث المستوى أو الإنتاج العلمي ، بل هي مجرد مقارنة تقييمية لكتابيهما سالفي الذكر ، وهما مجرد عملين من أعمالهما الأدبية المتعددة .

وسيقتصر عملنا هذا على إلقاء الضوء على تاريخ حياة كل من العالمين الجليلين بشكل مختصر ، وعلى محتويات الكتابين المذكورين ، وشيء من التحليل المقارن لهما ، آخذين في الاعتبار المواقف والظروف السياسية والاجتماعية والدينية المؤثرة في كل منهما ، والتي دفعت كلاً منهما لكتابة كتابه وقتئذ .

وفيما يلي نبذة وجيزة عن حياة هذين العالمين المسلمين البارزين :

أولاً : الشيخ عثمان بن فودي :

* نشأته :

يُعرف أيضاً باسم شيهو عثمان دان فوديو ، ولد في ماراتا بالقرب من غوبر بولاية

صكتو في نيجيريا ، في يوم الأحد آخر أيام شهر صفر من عام ١١٦٨ بعد الهجرة ، الموافق لشهر ديسمبر عام ١٧٥٨ للميلاد . وينتمي الشيخ لعشيرة فولانية تعرف بـ«ترنكاوا» أو «توريوبا» ، وهي إحدى الأسر الفولانية التي هاجرت من فوتاتورو بالسنغال في القرن الخامس عشر ، ثم رحل أبوه بعد ولادته بوقت قصير إلى دقل شمال غوبر ، وهناك كانت نشأته .

*** تعليمه :**

ينتمي الشيخ عثمان إلى أسرة عُرفت باهتمامها الشديد بتعلم الإسلام ودراسته ، فكان أبوه عالماً جليلاً ، وقد أطلق عليه لقب «فودي» والتي تعني في لغتهم : الرجل واسع المعرفة ، ومن ثم فقد تلقى الشيخ عثمان تعليمه الأول على يد والده حيث علمه القرآن الكريم ومباديء الإسلام ، ثم بعد ذلك تتملذ على يد عدد من العلماء حيث تعلم منهم كلٍ في مجال تخصصه .

وعند بلوغه سن العشرين بدأ الشيخ عثمان نشاطه في مجال الدعوة وكان قد أصبح وقتئذ خبيراً في اللغة العربية وقواعدها ، وفي الدراسات الإسلامية ، والتاريخ والقانون والتفسير ، وكذلك كان شاعراً مرموقاً . وقد عمل الشيخ عثمان معلماً وواعظاً، وكذلك مرشداً دينياً ، وخلال فترة وجيزة من نشاطه الدَّعَويٍّ ، ونظراً لما تحلى به من تقوى وصلاح وغزارة علم ، فسرعان ما كثر أتباعه والتفَّ حوله المعجبون بعلمه .

ومن هنا أصبح الشيخ عثمان زعيماً مرموقاً يحسب له حساب ، وازداد أتباعه وتلاميده ، ومما لفت انتباهه آنذاك كثرة التناقضات والاختلافات في تطبيق الإسلام من قبَل عامة المسلمين في نيجيريا ، ومن ثم فقد عمد إلى كتابة العديد من الكتب لتناول تلك القَضية ولإرشاد الناس إلى جادة الصواب والابتعاد بهم عن الوقوع في البدع والرذائل . ومن أشهر تلك الكتب كتابه المشهور : «إحياء السنة وإخماد البدعة الشيطانية» ، والذي سنلقي عليه مزيداً من الضوء فيما بعد .

ومما يجدر ذكره هنا أن مؤلفات الشيخ عثمان ونشاطاته الدعوية كانت بمثابة مقدمة لجهاده المعروف عام ١٨٠٤ ، والذي كان من نتيجته القضاء على ما سبقت الإشارة إليه من تناقضات واختلافات ، وإقامة ما أطلق عليه «الإسلام الخالص» ، والذي ظل الشيخ

عثمان يدافع عنه ويناصره حتى وفاته عام ١٨١٧ للميلاد ، بعدما أتمَّ جهاده وقام بواجبه على أكمل وجه .

ثانيا : الشيخ آدم عبدالله الإلوري :

* مولده ونشأته :

اسمه الكامل هو آدم بن عبدالباقي بن حبيب الله بن عبدالله الإلوري ، ولد في واسا بالقرب من زوجو في جمهورية بنين (داهوما) عام ١٩١٧ للميلاد . أبوه الشخ عبدالباقي ، من أبناء بلدة إلورين بولاية كورا في نيجيريا ، وكان عالماً وفيلسوفاً إسلامياً استقر به المقام في الجزء الشمالي من جمهورية بنين حيث عُيِّن إماماً لَمدينة واسا ، ثم تزوج من ابنة حاكم المدينة حيث أنجبت له الشيخ آدم وأبناء آخرين ، ثم رحل بعد ذلك من واسا إلى إلورين .

* تعليمه :

لكونه ابن أحد العلماء فقد تمكن الشيخ آدم من تلقي تعليمه الأول عن الإسلام على يد والده ، وعند رحيلهم إلى إلورين بدأ تعليمه على يد كل من الشيخ مالك الأويوس والشيخ هاشم أريكوكو ، ثم أخذه أبوه إلى إبادان حيث تتلمذ هناك على يد الشيخ صالح وهو ابن معلم أبيه .

ثم تتلمذ الشيخ آدم بعد ذلك على أيدي عدد من العلماء والمشايخ في مختلف التخصصات نذكر منهم الشيخ عمر والذي علمه مبادىء الشريعة الإسلامية واللغة العربية والأدب ، وفي المرحلة المتقدمة من تعليمه تمكن الشيخ آدم من الاتصال بعالم جليل هو الشيخ آدم نماجي في كانو حيث كان آخر من تتلمذ على أيديهم، وقد تعلم منه عدداً من العلوم المتقدمة كالفلسفة والفلك والبلاغة والعروض والأدب والإنشاء العربي .

ومما قاله الشيخ آدم عن نفسه «وقد تمكنت من تعلم العديد من فروع المعرفة بالجهد الذاتي والاطلاع المستمر ، وقد أحببت دراسة التاريخ مثل والدي ، وقد اتجهت إلى الكتابة بدافع شخصي وبتشجيع من الشيخ آدم نماجي ، وقد كان الشيخان السيوطي والغزالي مُلهميّ في مجال الدراسة والبحث» .

ولم يكن الشيخ آدم الإلوري معلماً وواعظاً ومجاهداً فحسب ، بل كان كاتباً مثمراً حيث بلغ إنتاجه أكثر من ستين كتاباً ، ونظراً لنبوغه وتفوقه وذيوع صيته في مجال الأدب فقد منحته الحكومة المصرية ميدالية ذهبية في العلوم والآداب عام ١٩٨٩ للميلاد .

توفي الشيخ آدم الإلوري في الثالث من مايو عام ١٩٩٢ للميلاد ، وكان قبل وفاته يشغل منصب أمين عام رابطة الأئمة والدعاة في يوروبلاند .

محتوى كتابيّ : "إحياء السنة وإخماد البدعة" و"الإسلام اليوم وغداً"

أولاً : كتاب : إحياء السنة وإخماد البدعة :

كتب الشيخ عثمان فودي كتابه هذا عام ١٧٩٣ وأثناء فترة جهاده ، وكما يتضح من عنوان الكتاب فقد قصد به الشيخ أن يرشد أتباعه إلى التمسك بالسنة الفعلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأن ينهاهم عن البدع الشيطانية التي لا أصل لها والتي دُست بواسطة المبتدعين آنذاك .

ويحتوي الكتاب على ثلاثة وثلاثين فصلاً يمكن تقسيمها إلى ستة أقسام رئيسية هي :

١ - مقدمة وتعريفات (الفصلين ١ ، ٢) .

٢ - التمسك بالسنة (الفصل ٣) .

٣ - الإيمان (الفصل ٤) .

٤ - الفقه (الفصول من ٥ إلى ٣٠) .

٥ - التصوف (الفصول من ٣١ إلى ٣٣) .

٦ - الخاتمة .

ونتناول الآن تلك العناوين واحداً تلو الآخر بشيء من التفصيل لنرى ما يقوله المؤلف :

١ - المقدمة والتعريفات :

يشير المؤلف في المقدمة إلي الهدف من وراء كتابته لهذا الكتاب بقوله :

«ليعلم القاريء أن هدفي من كتابة هذا الكتاب ليس سوى إحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم والقضاء على البدعة الشيطانية ، وأني لا أهدف بحال إلى التعرض لأناس بعينهم» .

ثم يجد الكاتب أنه من الضروري له أن يقدم تعريفات لبعض المصطلحات الخاصة كالقرآن والسنة والإجماع ، مقتبساً من بعض المصادر الموثوقة في هذا المجال كالسيوطي وغيره ، كما ساق أيضاً الأدلة من القرآن والسنة ليثبت وجوب التزام كل مسلم بالمصادر الثلاثة للتشريع ، القرآن والسنة والإجماع .

أما في الفصل الثاني فيتعرض الشيخ للبدعة حيث يقسمها إلى خمسة أنواع ، ثم ينتهي إلى أن ثلاثة منها مباحة للمسلم بينما النوعان الآخران يجب اجتنابهما تماماً .

- أما الثلاثة المباحة فهي :

أ - الواجب : وضرب مثالاً لذلك بحفظ القرآن وتناقله بين الأجيال .

ب - المندوب : ومثَّل لذلك بصلاة التراويح .

جـ - المباح : ومثَّل لذلك بلبس الفخم والجميل من الثياب والعيش في البيوت الفارهة .

- وأما النوعان الآخران فبدعٌ مذمومةٌ لابد من اجتنابها :

د - المحرم : ومثَّل لذلك بتولية الجاهل لأمر الأمة .

هـ - المكروه : ومثَّل لذلك بتخصيص أيام بعينها لبعض العبادات أو الطقوس الدينية دون غيرها دون أن يكون لذلك أصل .

٢ - التمسك بالسنة :

ويتناول الشيخ تحت هذا العنوان ، وذلك في الفصل الثالث من الكتاب ، ضرورة تمسك المسلمين بسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأن يتخذوه وصحابته رضي الله

عنهم أسوةً حسنةً ، ويروي لنا كيف تمسك المسلمون الأوائل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم مدعماً ما يقول بمواقف حية من حياة الأجيال الثلاثة الأولى من المسلمين .

وأشار أيضاً إلى كيفية حفظ الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم ونقلهم له إلى التابعين ، ثم أشار إلى ما قام به التابعون من تسجيل وجمع السنة النبوية المطهرة وتقديمها لمن جاء بعدهم ، ثم أشار إلى ما قام به تابعو التابعين من المسلمين من جمع واستخلاص أحكام الشريعة الإسلامية من مصادرها الثلاثة القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع وذلك لصالح من يأتي بعدهم من أجيال .

ومن ثمَّ يقول الشيخ بأن تلك اللمحات الطيبة والأعمال الفاضلة التي قام بها المسلمون الأوائل يجب أن تكون مثالاً يحتذى به ونموذجاً يُحاكى ، وأن كل ما لم يُقْدم على فعله المسلمون الأوائل لابد لنا من اجتنابه والابتعاد عنه لأنهم لو وجدوا فيه خيراً مَا تركوه .

٣ - الإيمان :

ويتناول الشيخ في الفصل الرابع من الكتاب موضوع السنة ودورها في إيمان الفرد، ويبين أن كل مؤمن لابد أن يستمد إيمانه من القرآن الكريم والسنة المطهرة لأن الله تعالى قد بين أركان الإسلام وأسسه في القرآن الكريم والسنة .

ثم ينتقل الشيخ إلى أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، وكذلك يتناول قضية نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وقضايا إيمانية أخرى مدعماً ما يقول بآيات من القرآن الكريم .

٤ - الفقه :

ويشكل موضوع الفقه الجزء الأكبر من الكتاب حيث يشمل ستة وعشرين فصلاً ، ومن ثم فيمكن تقسيمه إلى الآتي :

أ - العبادات : وتشمل حديث الشيخ عن الصلاة والزكاة والصوم والحج . الخ .

ب - السلوك الاجتماعي : ويشمل حديثه عن الطعام والشراب والملبس والتحية والختان وغيرها .

جـ - أمور شرعية : وتشمل الفصول التي يتحدث فيها الشيخ عن أمور شرعية كالزواج والطلاق والإيمان والبيوع والمعاملات والعقوبات والأحوال الشخصية . . . الخ .

٥ - التصوف :

ويشمل هذا الجزء الفصول من ٣١ إلى ٣٣ وهي بمثابة مقدمة للفصل الأخير وهو بعنوان «الإحسان» . وفي هذه الفصول يتحدث الشيخ عن أمور كالتداوي والرُّقيى والأحلام والرُّؤى ويتناولها بشيء من التفصيل .

ومما أورده الشيخ في هذه الفصول من السنَّة الصحيحة الفعلية والقولية للنبي صلى الله عليه وسلم ما يلي :

أ - التداوي بآيات القرآن الكريم .

ب - الإيمان بأن الشيطان لا يتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وبأن الرؤى منها الخير ومنها الشر وماذا نفعل عند حدوث كلٍ .

جـ - التقرب إلى الله تعالى بالعبادات والنوافل وبالابتعاد عن نواهيه .

د - عدم التباهي بالعبادة لأن ذلك يحبط العمل .

وأما ما تناوله الشيخ من أصناف البدع في هذه الفصول الثلاثة فنذكر منه :

أ - التداوي بالعُقَد .

ب - ربط الإنسان لنفسه بالسلاسل أو الحبال أو الكيّ بالنار من أجل تعذيب النفس لأسباب دينية .

جـ - الالتجاء إلى الدجالين والمنجمين والاعتقاد فيهم .

٦ - الخاتمة :

وهي أكثر أجزاء الكتاب صراحةً ووضوحاً وخاصة فيما يتعلق برأي المؤلف وما يريد أن يقوله ، وقد وضعها تحت عنوان «تنبيهات» وقد حصر تلك التنبيهات في سبع نقاط اشتملت على كل ما أراد تقديمه من خلال كتابه «إحياء السنة وإخماد البدعة» .

ثانياً : كتاب الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا

كتب الشيخ آدم كتابه «الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا» في عام ١٩٨٤م ونشر في عام ١٩٨٥م وقد تناول فيه الإسلام وكيفية ممارسته في نيجيريا ، ويتكون الكتاب من جزئين ومن ١٨٤ صفحة .

ويذكر الشيخ آدم الدافع الذي حثه على كتابة كتابه هذا فيقول : «يجيء هذا الكتاب تنفيذاً لرغبة أصدقائي ومعارفي حيث طلب مني أكثرهم أن أكتب عن واقع الإسلام ومستقبله كما سبق لي أن كتبت عن ماضيه» .

وقد تردد أيضاً أن ما دفع الشيخ آدم لكتابة هذا الكتاب هو ما عاناه هو نفسه من جرَّاء التفرقة والصراع القَبَليّ على يد إخوانه من المسلمين في الشمال وذلك أثناء عمله في بعثة رعاية الحجاج النيجيريين إلى مكة المكرمة حيث كان ضمن مجموعة عينتها الحكومة النيجيرية لهذا الغرض ، ولم يشر الشيخ صراحة لتلك الواقعة ولكنها قصة معروفة لدى الكثير من النيجيريين .

ويمكن تقسيم محتوى الكتاب إلى ما يلي :

الجزء الأول :

١ - المقدمة (ص ٥ حتى ص ٩) .

٢ - الفرق بين الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي (ص ١٣) .

٣ - العلاقات الإسلامية المسيحية (ص ٢٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧) .

٤ - السياسة (ص ١٤ ، ١٩ ، ٧٣) .

٥ - تاريخ الإسلام في نيجيريا (ص ٤٦) ، وتاريخ الإسلام في غرب أفريقيا (ص٤٧ ، ٥٠ ، ٧٤ ، ٩٠ ، ١٢١) .

الجزء الثاني :

١ - التفرقة والصراع القبلي في نيجيريا وغرب أفريقيا (ص ٩٦ ، ١٠٠) .

٢ - الإمامة (ص ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٦) .

٣ - المرأة في الإسلام (ص ١٢٤ حتى ١٤٣) .

٤ - صلاة الجمعة (ص ١٢٤ حتى ١٥٠) .

٥ - نصائح لأصحاب المدارس والمؤلفين (ص ١٦٠) .

٦ - الخاتمة .

والآن مع كل عنصر بشيء من التفصيل :

أولاً : الجزء الأول :

١ - المقدمة :

يتحدث المؤلف في المقدمة وبشكل واضح وصريح عن الأسباب التي دفعته لكتابة هذا الكتاب ولاختيار موضوعه بالذات .

٢ - الفرق بين الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي :

في هذا الجزء يقسم المؤلف التجمعات الإسلامية إلى قسمين أحدهما يصح أن يطلق عليه لفظة «أمَّة» والآخر «مجتمع» . فالدولة التي تغلب فيها الثقافة الإسلامية ويشترك المسلمون فيها في لغة واحدة وتقاليد واحدة يطلق على المسلمين فيها «أمَّة إسلامية» ، أما في دولة تتعدد فيها الثقافات واللغات فيطلق على المسلمين فيها «مجتمع إسلامي» ويضرب المؤلف مثالاً للنوع الأول بالمملكة العربية السعودية وللنوع الثاني بنيجيريا .

٣ - العلاقات الإسلامية المسيحية :

وتأتي مناقشة الكاتب لهذا الموضوع خالية من أيّة محاباة أو انحياز حيث يقوم بتتبع تاريخ كل من المسيحية والحضارة الغربية كما لو كانتا أختين توأم ، فالمسيحية انتشرت بواسطة الصليبيين وكان سلاحهم في ذلك هو الحضارة الغربية ، ويضرب مثالاً لذلك بتعليم اللغة الانجليزية في الشمال من نيجيريا ، ثم يعرض المؤلف في هذا الجزء لبعض مخططات النصارى السرية ضد الإسلام .

٤ - السياسة :

وفي هذا الجزء يتحدث المؤلف عن دور نيجيريا في السياسة الدولية وجهودها في بناء الأمم ، ومن الناحية الدينية يشير المؤلف إلى أن فتور المسلمين الأوائل وزهدهم في تلك الناحية كان له الدور الأكبر في جعل المسيحيين من أمثال «أوبافيني أولو» ، «نامدي أزيكوي» يتقلدون أول المناصب السياسية والقيادية في الجمهورية .

٥ - تاريخ الإسلام في أفريقيا ونيجيريا :

وهنا يتتبع المؤلف كيفية انتشار الإسلام وامتداده من شمال أفريقيا إلى غربها ثم جنوباً إلى نيجيريا ، حيث يحكى كيف قام عمرو بن العاص حاكم مصر وسوريا آنذاك ، وفي زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بتكليف عقبة بن نافع بفتح شمال غرب أفريقيا ، ومن ثمّ وصل الإسلام إلى إمبراطورية غانا القديمة في غرب أفريقيا .

ويشيد المؤلف في هذا المقام بجهود بعض الدعاة المسلمين في نيجيريا ، ويشير إلى عقد أول مؤتمر إسلامي في نيجيريا عام ١٩٤٨ ، وإلى تأسيس جماعة «نصر الإسلام» عام ١٩٦٤م ، وإلى جهود كل من ساردونا وأحمدو بيللو في نشر الإسلام . كما يشير المؤلف أيضاً إلى جهود شيخ عثمان دان فوديو ونشاطه الملموس في مجال الدعوة وفي إقامة نظام الخلافة الإسلامية في سوكوتو .

ثانياً : الجزء الثاني :

ويلقي المؤلف الضوء في الجزء الثاني من الكتاب على المستقبل المشرق الذي يتوقعه للإسلام ، ولكنه يحدد بعض المشكلات التي تحتاج لحلول عاجلة حتى لا تشكل حَجَرَ عثرة في طريق التقدم والرقي للمجتمع الإسلامي ، كما يقوم بعرض الحلول المقترحة لتلك المشكلات ، وذلك على النحو التالي :

١ - الصراع القَبَليّ :

وهنا يتحدث الكاتب عن الصراعات القبليَّة بين الجماعات العرقية الثلاث في نيجيريا والتي ينتج عنها التفرقة حتى بين المسلم وأخيه المسلم . ويشير إلى صراعات قبلية تطورت إلى صراعات دينية من قِبَل قبائل الهوساس ، والذين يرفضون مثلاً أن يُصَلُّوا

خلف إمام من اليوروبا . فالمؤلف يشجب ذلك الاتجاه ويقول أنه بدعة سيئة يجب التخلص منها من أجل صالح الإسلام ومستقبله .

٢ - الإمامة :

وتحت هذا الموضوع يناقش المؤلف ما وضعه الشرع الإسلامي من ضوابط لاختيار الإمام ، ومن هذه النقطة يتطرق إلى شجب واستنكار ما يحدث من تدخل بعض الأثرياء في شئون العلماء ، كما يستنكر أيضاً ظاهرة إطلاق الألقاب الدينية على مَنَ ليسوا أهلاً لها كمن تنقصهم المعرفة الكافية بأمور الدين .

٣ - المرأة في الإسلام :

ويتحدث الكاتب في هذا المقام عن مكانة المرأة في الإسلام ويخص أموراً معينة بالتفصيل والشرح من أهمها الحجاب وموقف المرأة المسلمة من التعليم ومن الصلاة في المسجد وبعض الحقوق الأخرى الخاصة بالمرأة .

٤ - صلاة الجمعة :

وهنا يشير المؤلف إلى الأهمية القصوى لصلاة الجمعة وإلى ضرورة التزام المسلمين بحضورها ، ويقول بأن خطبة الجمعة يجب أن تدور دائماً حول قضايا المسلمين الراهنة .

٥ - نصيحة إلى المؤلفين وأصحاب المدارس :

في هذا الجزء يوجه الشيخ آدم نصيحة إلى المعلمين والمؤلفين وإلى أصحاب المدارس العربية بأن يحددوا أهدافاً يسعون إلى تحقيقها من أجل تحسين مستوى أبناء المسلمين ، ويخص الكتَّاب بضرورة أن يدعوا الصراعات جانباً وأن يسعوا إلى كتابة أكبر عدد ممكن من المؤلفات في مجال الدراسات العربية والإسلامية .

٦ - الخاتمة :

يلقي المؤلف الضوء في الخاتمة على الموضوعات التي تناولها في الكتاب والمشكلات التي عرضها وكذلك الحلول التي طرحها ، حتى أنه يمكن القول بأن الخاتمة وحدها يمكن للقاريء أن يحيط علماً بكل ما يحتويه الكتاب .

- مقارنة وتقييم :

أولاً : الخلفية التاريخية :

هناك أسباب مختلفة ، كما ذكرنا سالفاً ، دفعت كلاً من الكاتبين لكتابة كتابه ، فبينما كان الشيخ عثمان دان فوديو يخوض المعارك للتوفيق بين أطراف متصارعة ومعتقدات متضاربة أدت إلى صراعات دينية في أرض الهوس ، وكان في نفس الوقت يهدف إلى تعليم أتباعه وتلاميذه مباديء الإسلام ، نجد أن الشيخ آدم كان همُّه مستقبل الإسلام في نيجيريا وخاصة بعد ظهور الصراعات القَبَلِيَّة وادَّعاء كل قبيلة بالزعامة الدينية على غيرها من القبائل ، وبوجه عام فإن كلاً من الكتابين موجَّهٌ لخدمة الإسلام والمسلمين في فترتين مختلفتين .

ثانياً : الملامح الدينية :

من الواضح أن الكتابين يغلب عليهما الطابع الديني ، إلا أن كتاب الشيخ عثمان «إحياء السنة» تغلب عليه الملامح الدينية بشكل أكبر ، بينما يمكن أن يقال عن كتاب الشيخ آدم «الإسلام اليوم وغداً» أنه ذو طابع تاريخي أكثر منه ، فكتاب «إحياء السنة» يتناول بالمناقشة أمور التوحيد والفقه والتصوف مع التركيز على السنة والبدعة ، بينما يناقش كتاب «الإسلام اليوم وغداً» أموراً كالإمامة والدعوة وتاريخهما .

ثالثا : النواحي السياسية والاجتماعية :

يتناول كتاب «إحياء السنة» قضية المفاسد التي تخللت المجتمع الإسلامي في عصر الشيخ عثمان حيث عدَّد لنا تلك المفاسد تحت مسمى «البدع» وحذر أتباعه وتلاميذه منها وحثهم على ضرورة اجتنابها .

وكذلك كتاب «الإسلام اليوم وغداً» حيث يتناول المشاكل السياسية والاجتماعية التي واجهت الإسلام في بداية انتشاره في نيجيريا ، فنجده يناقش قضايا مثل العصبية القبلية والتفرقة العنصرية وغيرها من مشكلات تعوق تقدم الإسلام .

وبينما يتعرض كتاب «إحياء السنة» بالذم لحكام الهوساوس ونهجهم الخاطيء من الناحية السياسية ، نجد أن كتاب «الإسلام اليوم وغداً» يتجنب التعرض بشكل مباشر لجماعة سياسية بعينها .

رابعاً : تحليل المحتوى :

يتضح من خلال عرضنا لمحتويات الكتابين مدى ثرائهما من ناحية المضمون ، وأن الموضوعات الواردة في كل منهما مفصلة بصورة تجعل من الممكن أن يقسم كل منهما إلى كتابين أو أكثر . وينقسم كتاب «الإسلام اليوم وغداً» إلى جزئين مما يسهِّل قراءته ، وفيه أيضاً يتبع المؤلف أسلوباً مباشراً في عرض أفكاره ، وذلك بعكس الشيخ عثمان الذي يتبع دائماً أسلوب عرض آراء من سبقوه قبل أن يأتي برأيه .

خامساً : التحليل اللغوي :

جاء الكتابان في لغة عربية سلسلة وبسيطة ، ومن العجيب أن كتاب «إحياء السنة» ، والذي كتب منذ قرنين من الزمان ، مازال طوعاً لقواعد وأصول اللغة العربية .

وتتجلى المهارة العالية لكِلا االكاتبين من ناحية اختيار الألفاظ مما ينم عن تمكنهما من اللغة العربية بشكل تام ، ويميل الشيخ عثمان كثيراً إلى الاقتباس في كتابه ، بينما نجد الشيخ آدم لا يلجأ إلي ذلك إلا عند الضرورة .

سادساً : وضوح الفكرة :

ينجح الكاتبان في توصيل رسالتيهما إلى القرّاء بصورة سريعة ومباشرة ، فقد تجلت الفائدة التي جناها المسلمون ممن كانوا حول الشيخ عثمان من كتابه ، حتى أن هذا الكتاب كان مقدمة لجهاده المعروف عام ١٨٠٤ للميلاد ، ولعل فيما حدث في هوسلاند من انقلاب وتكوين حكومة إسلامية دليلاً قاطعاً على أن الناس قد فهموا رسالة الشيخ عثمان التي وجهها إليهم من خلال كتابه «إحياء السنة وإخماد البدعة» ، وإن في بقاء الكتاب حتى يومنا هذا دليلاً آخر على صدق رسالته ، وكذلك الأمر بالنسبة لكتاب الشيخ آدم «الإسلام اليوم وغداً» حيث لا يزال يلهث وراءه المؤرخون والباحثون بشكل دائم .

سابعاً : ردود الفعل حول الكتابين :

مما ظهر حديثاً من كتابات حول كتاب الشيخ آدم «الإسلام اليوم وغداً» ما كتبه كاتب نيجيري يدعى عثمان باري من شمال نيجيريا وفيه يدعي بأن بالكتاب بعض

الحقـائق المشـوهة والأحـداث المحـرَّفـة ، ولسنا الآن على أية حـال بصـدد تعـديد تلك الادعاءات أو تفنيدها بقـدر ما نحن بصـدد الإشـارة إلى مدى الازدهار الذي وصل إليه النشاط الأدبي العربي في نيجيريا حالياً ، وبشكل لم يكن معهوداً عند كتابة الشيخ عثمان لكتابه .

ثامناً : الخاتمة :

لعل الصواب لا يجانبنا إن قلنا أن الكتابين يتشـابهان في بعض الأمور رغم كونهـما ينتميـان لفترتين زمنيتين مخـتلفتين ، فهـما يتشـابهـان في الظروف السياسيـة والدينية والاجتماعية . . . الخ ، التي عاصرت كـاتبيهـما وأثَّرت فيهما إلى حد كبير وبالتالي في مضمون كل من الكتابين ، وبحسب الكاتبين إطراءً أن نعرف ما خلَّفاه من تراث تتباهى به الأجيال رغم أن أيّاً منهما لم يتلق تعليماً جامعياً بشكل رسمي .

قضية ورأي ..

البيئة بين الاهتمام العالمي ورعاية الإسلام لها

د/ سعيد محمد رفاع

(١)

مقدمة :

انتشر استخدام مصطلح (بيئة) في العقدين وكثر ترديده من قبل العامة والخاصة نتيجة لوروده بشكل شبه يومي في مختلف وسائل الإعلام ولتوضيح هذا المصطلح فإنه تجب الإشارة إلى أنه قد تطلق كلمة بيئة ليقصد بها (علم البيئة) Ecology والذي يعرف بأنه «العلم الذي يدرس علاقات الكائنات الحية مع بعضها البعض ومع الوسط الذي تعيشه فيه» .

كما أنه قد يقصد بها Environment بمعناها الواسع الشامل والتي عرفها مؤتمر ستوكهولم عام ١٩٧٢م بأنها «كل شيء يحيط بالإنسان» وبشكل أكثر توضيح هي «الوسط أو المجال الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر فيها «وقد يعني هذا الوسط الرحم الذي يعتبر البيئة الأولى للإنسان وقد يتسع هذا المفهوم ليعني الكون كله .

ومن خلال هذه التعريف ، فإننا نستطيع أن نقول أن البيئة ليست مقصورة على الطبيعة المحيطة بالإنسان فحسب وإنما تتعدى لتشمل كل ما يؤثر في حياة الإنسان من عادات وتقاليد وممارسات تؤثر في الإنسان وتتأثر به حيث يتحدد مفهوم البيئة بالأنشطة التي يقوم بها فيقال مثلاً : بيئة زراعية أو صناعية أو تجارية كما أنها تتأثر بشخصية الإنسان وسلوكه في الحياة .

وحيث كان الإنسان الأول يبحث عن ما يسد به رمقه من الأشجار والصيد بالآلات البسيطة والطرق البدائية ولهذا لم يكن تأثيره على البيئة كبيراً ولكن مع التطور الذي مرت به المجتمعات البشرية بدأ الضغط على البيئة ومواردها يزداد مما تولد عنه الكثير من المشاكل البيئية وأخذت هذه المشاكل في التزايد وخاصة بعد الثورة الصناعية في الدول الغربية والتطور التكنولوجي الذي يعيشه العالم حالياً مما قلب المعادلة حيث أصبحت العلاقة التعايشية القائمة بين الإنسان وبيئته علاقة عداء وإسراف في استغلال الموارد الطبيعية بشكل ينذر بحدوث الكثير من الكوارث التي لا تقتصر على بلد بعينه ولكنها قد تمتد لتشمل الكثير من بلدان العالم أو قد تهدد سلامة الأرض ومن عليها فالإسراف في استغلال الموارد الطبيعية والمبالغة في العادات أدى إلى تنبيه العالم لما ينتظره من أخطار بيئية إذا لم يبادر إلي وضع الحلول اللازمة لها ففي أوروبا مثلاً وجد أن ألمانيا في عام ١٩٩٣ كانت المصدر الرئيسي لموارد تلوث الجو في الدول الأوروبية المحيطة . . وما حدث نتيجة لحرق آبار البترول في الكويت ليس منا ببعيد حيث وصل السخام الصادر منه إلى الولايات المتحدة الأميريكية والهند والصين وبعض مناطق الاتحاد السوفيتي السابق .

وتلوث الهواء ليس المشكلة البيئية الوحيدة التي يعاني منها العالم فهناك ما تعانيه البحار والأنهار من تلوث نتيجة للتصرفات غير المسئولة التي يمارسها الإنسان من إلقاء للنفايات المشعة والسامة في قيعان البحار وفي مجاري الأنهار إضافة إلى الأمطار الحمضية التي تأتي كنتيجة مباشرة لتلوث الهواء الجوي . كما أن من الملوثات التي يعاني منها الإنسان بسبب تغير نمط الحياة اليومية التلوث الضوضائي حيث تشير وكالة حماية البيئة الأمريكية إلى أن ثمانين مليون مواطن أمريكي يعانون من اضطرابات صحية جسدية ونفسية وعصبية بسبب الضجيج .

أما المشاكل العالمية التي تهدد العالم أجمع فمن أهمها ارتفاع درجة حرارة الأرض حيث تشير وزيرة البيئة الألمانية بمناسبة انعقاد مؤتمر المناخ الذي عقد في ألمانيا في بداية عام ١٩٩٥م إلى أنه ما لم تتخذ إجراءات صارمة للحد من انبعاث أكاسيد الكربون وأكاسيد النتروجين التي تساهم في رفع درجة حرارة الأرض فإن ذلك سيؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية بحوالي ١,٥ إلى ٤,٥ درجة مئوية في منتصف القرن المقبل مما

سيؤدي إلى نتائج خطيرة كإرتفاع مستوى البحار ونقص الغذاء على المستوى العالمي .

هذا بالإضافة إلى مشكلة تآكل طبقة الأوزون فمنذ السبعينات والأقمار الصناعية تراقب بشكل مستمر تركيز الأوزون في الطبقات العليا حيث اتضح أنه في شهري سبتمبر وأكتوبر من كل عام تحدث ثغرة هائلة بما يعادل مساحة الولايات المتحدة الأمريكية فوق القارة القطبية الجنوبية نتيجة لانخفاض تركيز الأوزون بنسبة إلى ٢٥ - ٣٠٪ وهذا النضوب من شأنه أن يعرض الأرض لمزيد من الأشعة فوق البنفسجية مما سيساهم في ارتفاع نسبة الإصابة بسرطان الجلد وانتشار الأمراض الفيروسية والأورام إضافة إلى القضاء على المنتجات الأساسية التي يقوم عليها بقاء الحياة على سطح الأرض .

هذه المشكلات البيئية وغيرها جعلت الدول المتقدمة والنامية على حد سواء تتنبه لأهمية الحفاظ على البيئة والعمل سوياً من أجل الحد من الأخطار التي تواجه البشرية ونتيجة لذلك الاهتمام عقد وما زال يعقد الكثير من المؤتمرات ابتداء بمؤتمر ستوكهولم عام ١٩٧٢م إلى مؤتمر قمة الأرض الذي عقد في ريو دي جانيرو عام ١٩٩٢م حيث شارك فيه أكثر من ١٨٠ دولة وأخيراً عقد بداية هذا العام مؤتمر المناخ العالمي في ألمانيا حيث اشترك فيه ممثلون من أكثر من ١٦٠ دولة إضافة للعديد من المنظمات غير الحكومية تمخض عنها العديد من القوانين والكثير من المعاهدات التي تهدف إلى الحفاظ على البيئة ومواردها الطبيعية ، ومن هذه القوانين قانون الهواء النظيف الأمريكي الذي وضع عام ١٩٧٠م وأجريت عليه بعض التعديلات عام ١٩٧٧م .

وعلى مستوى الدول الخليجية بشكل عام فهناك جهود حثيثة ، خاصة منذ بداية الثمانينات للحفاظ على البيئة وصيانتها والتعاون فيما بين هذه الدول لمواجهة المشاكل البيئية ، خاصة وأن هناك تشابه كبير بين هذه الدول فيما تعيشه من مشاكل بيئية رظروف تنموية وانطلاقاً من ذلك فقد تم إقرار السياسات والمباديء العامة لحماية البيئة من المجلس الأعلى في قمة مسقط عام ١٩٨٥م . وتأتي في مقدمة هذه الجهود إنشاء الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها عام ١٤٠٦هـ ، وتهدف هذه الهيئة إلى الحفاظ على ما تبقى من الحيوانات البرية المهددة بالإنقراض وكذلك النباتات النادرة التي تكاد تختفي نتيجة للرعي الجائز والاحتطاب العشوائي والظروف المناخية الصعبة ، وقد تم إنشاء إثنى عشر

محمية في المملكة كما تم إنشاء ثلاثة مراكز علمية تعني بالدراسة العلمية والبحثية للأحياء الفطرية . كما تعتبر المملكة أول دولة عربية أصدرت المواصفات القياسية لنوعية الهواء وفرضت الشروط ولوائح لضبط التلوث البيئي واعتمدت التقييم البيئي للمشاريع التنموية وفرضت على الصناعة إستخدام أحدث تقنية متوفرة للتحكم بالتلوث ومراقبته . كما تؤكد خطة التنمية السعودية السادسة من عام ١٩٩٦ إلى عام ٢٠٠٠ على المحافظة على البيئة وتطويرها وحمايتها من التلوث .

البيئة في الإسلام :

ومما لا شك فيه أن العالم الغربي يعاني أكثر من غيره من بلدان العالم من المشاكل البيئية نتيجة للاستنزاف الهائل للموارد الطبيعية ولطغيان الهدف المادي على كثير من السلوك والتصرفات بغض النظر عن النتائج السلبية الأخرى . كردة فعل لتلك المشاكل التي بدأت تظهر آثارها السلبية أخذ العالم الغربي في وضع الأسس والقواعد والقوانين التي يأمل في أن تحد من التدهور الحاصل للبيئة وفي ضوء هذه الخطوات المتتالية من قبل الغرب لحماية البيئة وصيانتها فإن هناك من ينبهر بهذا ويعتبر أن للغرب قصب السبق في هذا المجال . وهذا الإدعاء مغاير للحقيقة فقد سبقهم الإسلام إلى ذلك منذ أربعة عشر قرناً كما هو واضح في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي اجتهادات علماء المسلمين وأئمتهم . مما لا يختلف عليه في استغلال الموارد الطبيعية والمبالغة في العادات الاستهلاكية أساس لمعظم المشاكل البيئية التي يمر بها العالم ، وفي هذا الصدد يشير ميخائيل جورباتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفيتي السابق ، والذي أختير مؤخراً رئيساً لمنظمة الصليب الأخضر الدولية في تعليقه على الإسراف والعادات الإستهلاكية السائدة في العالم المتقدم بقوله سيحدث انهيار شامل في البيئة العالمية إذا بدأت بقية دول العالم في استهلاك الموارد على الطريقة الأمريكية . وقد أخذت المنظمات البيئية وهيئة الأمم المتحدة ممثلة ببرنامجها للبيئة في إصدار النداءات المتتالية الداعية لترشيد الاستهلاك للمصادر الطبيعية ولنتجنب ما تمر به الدول الصناعية من مشاكل بيئية يجدر بنا كمسلمين أن نعود لتعاليم ديننا السمحة ونتبع مبدأ الوسطية والاعتدال في كل شيء في حياتنا ، يقول تعالى في النهي عن الإسراف ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾

الأعراف/ ٣١ كما يقول تعالى في ذم البشر : ﴿ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾ الإسراء/ ٢٦-٢٦ ، ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالبيئة أن جعلها جزء لا يتجزأ من إيمان المسلم حيث يقول عليه السلام : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق» وكما يقول صلى الله عليه وسلم «إماطة الأذى عن الطريق صدقة» .

ويتخذ الأذى صوراً عديدة منها ما حذر منه صلى الله عليه وسلم في قوله : «اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الماء ، وفي الظل ، وفي طريق الناس» ، إذن كل ما يلحق الأذى بالمسلمين محرّم بأي شكل كان وذلك وفق القاعدة الفقهية التي تقول : «ما أدى إلى حرام فهو حرام» ، كما أنه في القواعد الفقهية الأساسية في الدين الإسلامي «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» ، وهذا ما تنبه إليه العالم الغربي من سبعينات هذا القرن حيث ظهرت فكرة تقويم المردود البيئي والتي تعني ضرورة تقييم تأثير أي مشروع على البيئة فإذا تبين أن له تأثير ضار فيعدل أو يلغى .

التوعية البيئة :

المحافظة على البيئة وصيانة مواردها ليست بالمهمة السهلة ما لم يتعاون جميع أفراد المجتمع ومؤسساته في تحقيقها ، ويتم ذلك عن طريق نشر الوعي والمعرفة البيئية بين مختلف قطاعات المواطنين وذلك بمساهمة وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم ، وما ينبغي التأكيد عليه أن مساهمة أفراد المجتمع في صيانة البيئة والمحافظة عليها ينطلق من مرتكزين اثنين ، الأول هو التأكيد على أن الحفاظ على البيئة واجب إسلامي يفرضه علينا ديننا الحنيف مما سيساهم في خلق وازع بيئي لدى أفراد المجتمع بحكم سلوكياتهم تجاه بيئتهم ويجعلها في المسار الصحيح .

أما الأمر الثاني فهو نشر الثقافة التي توضح القضايا البيئية وتبسطها لجميع قطاعات المجتمع مبينة أثرها على حياتهم وطرق مواجهتها والحد منها والدور الذي يستطيع أن يقوم به كل واحد منهم . ويقع على المؤسسات التعليمية مسئولية كبرى في توصيل هذه الرسالة بشكل بعيد عن الأسلوب التلقيني الذي يعطي آثاراً عكسية لما هو متوقع .

وفي هذا الإطار يجب الاهتمام بالأطفال بشكل خاص حيث أنهم أهم ركائز

الانطلاق نحو تنمية شاملة لأي مجتمع . وهناك العديد من التجارب التي تمت في مختلف بقاع العالم لإشراك الأطفال في معالجة قضايا البيئة ومن هذه التجارب مشروع «تلوث الهواء - المشروع الأوروبي» حيث شاركت فيه مدارس من ثلاث عشرة دولة أوروبية لإكساب أطفال هذه المدارس معلومات واتجاهات ومهارات تتعلق بتلوث الهواء والمشاركة في الحد من هذا التلوث .

كما أن على الأسرة دور كبير في خلق القدوة الصالحة للطفل بدءاً من المنزل النظيف ثم الشارع والحي بأكمله .

وأخيراً فإنه لا يمكن أن تتم هذه الجهود بدون مشاركة فعالة من وسائل الإعلام حيث تلعب دوراً مهماً في نشر الوعي والثقافة البيئية وذلك عن طريق بث وتقديم المادة الإعلامية المتخصصة الموجهة لمختلف فئات المجتمع ، وفي هذا السياق ينبغي استغلال الاحتفالات الوطنية والمناسبات البيئية المختلفة لتوعية المواطنين وجعلهم يشعرون بأن هناك مشاكل بيئية فعلاً على المستوى العالمي وعلى المستوى الإقليمي ومن هذه المناسبات يوم البيئة العالمي (٥ يونيو) ويوم البيئة العربي (١٤ أكتوبر) وأسابيع النظافة ، كما لا يجب إغفال أهمية المعارض والملصقات التي تنشر الوعي البيئي وهنا لابد من الإشادة بمشروع التوعية البيئية السعودي متمنين للجميع المزيد من التقدم والنجاح إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المـراجـع

(١) زين الدين عبدالمقصود (١٩٨٦) ، البيئة والإنسان ، دار البحوث العلمية - الكويت .

(٢) الإنسان والبيئة (التربية البيئية) (١٤١١هـ) ، مكتب التربية لدول الخليج العربية - الرياض .

(٣) عبدالحكيم الصعيدي (١٩٩٤) ، البيئة في الفكر الإنساني ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة .

(٤) محمد الفقي (١٩٩٣) ، البيئة (مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث) مكتبة ابن سيناء - القاهرة .

(٥) مرجع في العلوم البيئية للتعليم العالي والجامعي (١٩٧٨) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة .

(٦) جورباتشوف : هذه هي إجاباتي ، جريدة الشرق الأوسط ، عدد ٦٠٧٨ وتاريخ ١٩٩٥/٧/٢٠م .

(٧) غزلان المها والريم تعود إلى الربع الخالي ، جريدة الشرق الأوسط عدد ٥٩٩٠ وتاريخ ١٩٩٥/٤/٢٣م .

(٨) ضرورة الحد من انبعاث الغازات الضارة بالكرة الأرضية ، انجيلا ماركل ، جريدة الشرق الأوسط - العدد ٥٩٦٨ - وتاريخ ١٩٩٥/٤/١م .

أهمية البيئة في حياة الإنسان

د/ علي محمد شيبان العريشي

(٢)

لقد مرت حياة الإنسان على سطح الكرة الأرضية بمراحل مختلفة ، تطورت من خلالها العلاقة والتفاعل بين الإنسان والبيئة ، ففي المرحلة الأولى من حياة الإنسان كانت تصرفاته وحياته بسيطة وبدائية حيث كان يعتمد على الجمع والإلتقاط والصيد بشكل بسيط لم يكن يؤثر على التوازن البيئي إلا أنه بعد ذلك تطورت حياة الإنسان إلى مرحلة أكثر تعقيداً حيث زادت كثافة السكان وظهر الإستقرار المدني مما جعل هذه المرحلة بداية تأثير الإنسان السلبي على الوسط البيئي من حرق الغابات واستخدام مناطقها لأغراض الزراعة والسكن وإن كان ذلك التأثير يعتبر بسيطاً جداً .

إلا أن دخول الإنسان مرحلة جديدة من التطور وهي مرحلة الثورة الصناعية وما قبلها من مراحل نمو صناعي وغيره جعلت الإنسان يستخدم التقدم التقني وذلك بإستخدامه الآلات المختلفة مما أدى إلى ظهور مشاكل بيئية عديدة نتج عنها إستنزاف في مصادر الثروة الطبيعية ، وظهور مشكلة التصحر وتناقص الغابات وتلوث الغلاف الجوي والنقص في مياه الشرب وتزايد النفايات وغير ذلك من المشكلات البيئية .

ولقد أوجدت هذه المشكلات الدوافع ليس فقط لدى الحكومات بل أيضاً لدى الأفراد والمؤسسات المختلفة بأن هناك مشكلة بيئية يجب مواجهتها ومعالجتها من خلال نشر الوعي البيئي تستطيع أن تلبي احتياجات السكان الحاليين دون أن يكون هناك نقص في إحتياجات الأجيال القادمة بشرط أن يكون هناك إدراك بأهمية التناسق والتوازن بين

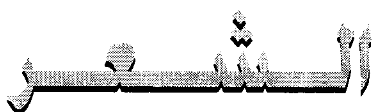
أعداد السكان والنظام الإقتصادي من جهة والقدرة الإنتاجية للنظام البيئي من جهة أخرى.

وهذا الوعي والإدراك بأهمية التنمية البيئية هو في الواقع إستراتيجية إنمائية تهدف إلى إستخدام الأمثل والأرشد للمواد البيئية في ضوء الوفاء بالاحتياجات السكانية بدون تهديد أو نقص في موارد البيئة .

ومفهوم التنمية البيئية لم يتحقق بمشاريع جزئية يقوم بها أفراد من علماء البيئة بل أنها محصلة جهود يشترك فيها جميع السكان حتى يضمنوا بيئة منتجة على المدى البعيد وهذا يدعو إلى إيجاد مفاهيم وأساليب تتكون لدى السكان من خلال المناهج الدراسية والوسائل الثقافية والإعلامية وغيرها بهدف غرس أهمية البيئة ومدى ضررها إذا نحن أسرفنا في إستخدام مواردها .

وقبل أن يكون هناك منظمات وجماعات تسعى إلى الاهتمام بالبيئة يجب أن تنظر في ديننا الحنيف الذي جاء ليعطي القيم والتعاليم في آيات وأحاديث عديدة تهتم بالإسراف والتبذير وكذلك الأمور التنظيمية لشئون الحياة التي تنظم العلاقة بين الإنسان والبيئة وتدعو إلى الاهتمام والرعاية بأمور الحياة التي فيها معاشنا وحياتنا .

ومن هذا المنطلق جاء اهتمام الدولة بالمحافظة على البيئة ، ويبرز ذلك في إسهاماتها المتعددة بالمنظمات والهيئات التي تهتم بشئون البيئة على المستويين العربي والعالمي . أما على المستوى المحلي فتقوم الهيئة الوطنية لحماية البيئة بدور بارز من حيث المحافظة ونشر الوعي البيئي .


الشعر


KING FAISAL CENTER FOR
RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES

حنين

محمد حسن العمري

وقفتُ وحدي على مفترق الطرق
أرنو كما ينظر الأعشى إلى الأفق

وقفت أستنطق الذكرى فما لبثت
أن أمطرتني بشلال من الأرق

أقول كالتائه الحيران أين أنا
أين القلوب التي تخلو من الحنق

وأين من كان بالأمس القريب هنا
متوجاً بجمال الخلق والخُلُقِ

أين السفوح التي ترعى بها غنمي
من طَلْعَة الشمس حتى مغرب الشفق

ثم تعود من المرعى على عجل
مخافة من هجوم الذئب في الغسق

الذئب يلقي ذئاباً تستبد به
إذا اعتدى عاد مذعوراً من الفرق

الذئب لا يأمن الراعي بوادره
طرف ينام وطرف غير منطبق

أين الديار التي كانت خمائلها
معطرات بأنسام الشذا العبق

ودعتها دون أن أنسى مودتها
وكيف أنسى بداياتي ومنطلقي

كانت شياهي تساوي وزنها ذهبا
أو ضعف أضعافه من عمله الورق

وكسرة الخبز يكفيني تناولها
بالسمن حيناً وأحياناً بلا مرق

لا أبتغي ناطحات السحب لي سكنا
أفٍّ لها ولما تحويه من شقق

الليل فيها نهارٌ والنهار بها
ليلٌ ولست مع البلوى بمتفق

مالي وللعيش في الضوضاء والصخب
طوَّلت بالي على جلاَّبةِ الزهق

مالي وللمدنيات التي سلبت
منِّي هنائي ولم تجلب سوى الرهق

مظاهر كسراب القاع تحسبه ... ماء وما ثم من ماء لمستبق

بعض النفوس تخلت عن سجيتها ... وبعضها لم تزل تجري على النسق

ما كنت أحسب يوماً أن أرى القمر ... مشوّهاً بعدما قد كان كالفَلَقْ

تبارك الله من ربّ قضى أزلاً ... أن السعيدَ سعيدٌ والشقيُّ شقي

من لي بعيش كريم حول ساقية ... الماء فيها زلالٌ والهواء نقي

هناك تجري ينابع الربيع كما ... لو أنها عسل من سدرة النبق

من بات فيها قرير العين مبتهجا ... فذاك حيرت له الدنيا على طبق

مالي وقفت بآمالي على جبلٍ ... يكاد ينهد بي من شدّة القلق

مشاعري وأحاسيسي مشتتة ... كأنني مدنفٌ في آخر الرمق

تزاحمت حولي الأشجان زائرة ... كأنها ثلة من جيش مرتزق

كأنما خلِتُ والأمواج عاصفة ... حَبْلَ الأسى بات ملفوفاً على عنقي

حتى إذا ضاقت الأرض بما رحبت ... وحل موج الدجى في بؤرة الحدق

وفجأة شع من قلبي ومن نظري ... نورٌ خرجتُ به من ظلمة النفق

ربّاه مالي مجيرٌ أستجيرُ بهِ ... إلاَّكَ يا خالقَ الإنسانِ من علق

لولاك ما كان لي في كل معترك ... وقايةٌ من سهام الطيش والنزق

ما أكرم الله معبوداً نلوذُ بهِ ... إذا أحاطت بنا الأخطارُ كالحلق

في ساعة الضيق تأتي ساعة الفرج ... فكيف أخشى على نفسي من الغرق

وصفت ما بي وما ألقاه من عنت ... إلى طبيبٍ حكيمٍ ماهرٍ حذقِ

قال الطبيبُ أزالَ اللهُ كربته ... بلهجة الواثق المستيقن اللبق

أسْعَدْ بيوم جميل أنت فيه ولا ... تحفل بما فات من عُمْرِ الفتى وبقي

وكن صبوراً على البلوى إذا عصفت ... فالدهر يرمي ورب العالمين يقي

مـقـتـرباً من كـرام الناس مـبـتـعـدا عن كل مـتـصـف بالزيف والملق

مـهـلا فلست بمحـزون ولا جَـزِعٍ إلاّ على ذكـرياتي في رُبَى عَـشَقٍ (*)

مـحـبـوبتي قـريتي والحب في نَظَرِي تاجٌ على جَـبْـهَـتِي يزدان بالألق

أبثـهـا الشـوق أحـيـاناً وأكـتـمـهـا خـوفاً على مهـجتي من شدة الحـرق

قلبي يحـدثني عنهـا بلا مَلَلٍ وللقلوب حـديث غـيـر مـخـتلق

مـا زارني طيـفُـهـا في كل منعطف إلا تخـيلتـهـا في كل مـفـتـرق

يا لائمي في هواها دون مـعـرفـةٍ أني بلغت المنى بالكد والعـرق

ليس التمني بغـيـر السـعي من شـمي ولا الخـرافـات من طبـعي ولا خلقي

لكنني شـاعـرٌ فـاضت مـشـاعـره ومـا لديه سـوى الأقـلام والورق

(*) اسم يطلق على القسم الأكبر من قرية الشاعر .

غشقة عطر

علي حسن الشهراني

سلامٌ في المساء وفي الصباح ... ومسكٌ في الغدوِّ وفي الرواح

(خميس مشيط) طيَّرهُ (لأبها) ... وبث فتيته في كل ساح

صبا (ذَهْبَانَ)[1] سار به رخاءً ... وعمم روحه (دربُ)[2] الفلاح

هي البلد الخميس نعمت فيها ... جنيت بها سروري وارتياح

زهت في ظل (خالد)[3] واستقامت ... باحياء مطرزة فساح

ومن باحاتها قد جاء شعري ... لأبها الحب ماسي الوشاح

ولي فيها أحباء كرام ... أقاموني على درب النجاح

وإن قلت (الخميس) فتلك (أبها) ... عروس سراتنا ذات البراح

فقد وجدت ومازالت جمالاً ... تبدي في مغانيها الصِّباح

وما بين الخميس وبين أبها ... سوى روح المحبة والصلاح

بناها (فهدنا)[4] وحمى حماها ... فكانت درة بين الملاح

يسر العين منظرها استطالت ... مشاريع كست كل النواحي

وقد ضم الخميس (خميس حرب)[5] ... على الأعداء فتاك السلاح

---

(١) ذهبان : حي آل مشيط في الخميس

(٢) الدرب : حي الأسواق في الخميس

(٣) خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير

(٤) خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله .

(٥) خميس حرب - الجيش السعودي في المدينة العسكرية بخميس مشيط .

نما في جـــيش أمـــتنا قـــوياً رياح المـوت يســعى كـــالرياح

أذاقـــوا جـــيش صــدام المنايا وردوا الكيـد مـقـصـوص الجناح

بعـاصــفــة وقــاصــفــة توالى لهـيب جـحـيـمـهـا في كل ساح

أمـيـر الشـعـر[1] يا ألقـاً ومـجـداً ويا نسل البطولة والســمــاح

صنعت سياحـة سـمـقت شـموخـاً فــأزهرت المدائن والضــواحي

أرى المصطاف فـاز بهـا مـغـان جـمـيـلات مع الماء القــراح

ومـــتع فكره فناً وشـــعـــراً بما أبدعتَ في النشط الســيــاحي

وقـــد أمن المكاره حـــيث يمضي سـعـيـداً في الغـدو وفي الرواح

بمملكة حـمى البـاري حـمـاها عـرين الأسـد ليس بمستـبـاح

يقـود الفـهـد نهـضـتـهـا شـمـولاً ويرفع مـجـدها رغم المشـاح

(١) الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير .

موطن الحسن

ثريا سعد سلطان العمري

أيهــــا الرائي السَّنا في مـــــوطني جـــاهلاً من أين قـــد جـــاء السنا

اســـأل الأزمـــان توفـــيك فـــقـــد ســـايرت نهـــضـــة أرضي الزمنا

اصطفـــاها المجـــد داراً فـــأبت غـــيـــره يجـــعل منهـــا سكنا

وسل العـــمـــران كم شـــيـــد بهـــا وتعـــالى مـــســـتـــفـــيـــضـــاً حـــسنا

وسل الـلـيـل تـآخـــــــا نـوره مع نور الصـــبح فـــيـــهـــا ورنا

وبـــذور الـــعـــلـــم مـــن أبـــذرهـــا ورواها حـــاصـــداً طيب الجني

وسل الأيتـــام كم أبهـــجـــهـم أســـبغ العطف عليـــهم وحنا

وضـــحـــايا الحـــرب من واســـاهـم قـــدم العـــون وصـــد المحنا

ســـيـــجـــيب الكل فـــيـــهـــا قـــائلاً مـــلـــك مـــن نُـــزُل الـــنـــجـــم دنـــا

نصـــر الإســـلام في أصـــقـــاعـــهـــا وسل الكعـــبـــة فـــيـــهـــا ومنِى

يئس الشـــيـــطان أن نعـــبـــده في مناحـــيـــهـــا وعبَّ الـوهنا

كـنـز الله بـهـــــا تحت الثـــــرى منبـــعـــاً للنفط أعطى مننِا

ولـنـا فـــــــوق ثـراهـا جـنـة ومـــزيـج من حـــضـــارات الدنا

وُجِـدَ الحُسْن جـمـيـعـاً فـوقـهـا وتغـــشـــاها قـــرى أو مـــدنا

ملك أســـدى يداً فـــيـــاضـــة حـــقق الآمـــال فـــيـــهـــا والمنى

علـم الأجـيـال علمـا صـادقـا كـــيـف تعطي وتجـــازي الوطنا

دور المملكة في نصرة العالم الإسلامي

عبدالعزيز عبدالرحمن القوم الشهري

يا أمـة المجـد يا سـبـاقـة الأمم ... مـازلت يا أمـتي ناراً على علم

إليك تحـتكم الدنيـا برمـتـهـا ... مـا بين منتـصـر منهـا ومنهـزم

اخـتـارك الله بين الخلق مكرمـة ... وبارك الله مـا أوتيت من نعم

فـمن رحـابك شع النور وانبـثـقت ... خـيـوطه فـغـزت مـحلولك الظلم

وآذن الله بالإصـبـاح بعـد دجى ... أمـسى به الكون بين الشـيب والهـرم

أمـسى به الكون في يأس ومكربة ... والضـجـر يحـمله في نطفـة الرحم

تمخض الليل عن مـيـلاد أمـتنا ... لتنقـذ الكون من دوّامـة الوهـم

وقـادنا خـيـر خلق الله منزلة ... لعـالم الوجـد بعـد اليـأس والعـدم

حـتى تدانت لنا الآفـاق وانقـشـعت ... سـحـائب الجـهل عن أفكارها البـهم

وصـافـحـتنا صـروح المجـد طائعـة ... وبايعـتنا ملوك العـرب والعـجم

لا تيـأسي أمـة الإسـلام وارتقـبي ... نصـراً مـبـيناً يداوي حـرقـة الألم

للحق في كنف الأخـيـار مـعـتـصم ... لا يعـرف اليـأس من نادى لمعـتـصم

سلواك في خـادم البـيـتين قـائدنا ... أمـا كـفـاك إمـام القـدس والحـرم ؟!

تحنو عليك أصـول طاب مـغـرسـهـا ... فـأفـرعـت بملوك العـز والشـمم

آل السـعـود سـراة الكون سـادته إليـهم منسب الأمـجـاد والشـيم

كـالتـاج فـوق جـبين الدهر منتـصب يزداد حـسناً إذا مـا زاد في القـدم

إليـه تلتـفت الأمـجـاد حـائرة يؤمُّـه كل خـصَّـام ومـحـتكم

كم أمـة أنقـذوها بعـد فـاجـعـة فيـها البصـائر عمي والبصير عمي

في القـدس والهند والصـومـال أمثلة سَلْ مَنْ يغـصـوا بدمع بائس ودم

في كل شـبـر من الأصـقـاع مـأثرة لنصـرة الحق والأيتـام والحُـرم

في كل سطرٍ من التـأريخ ملحـمـة لأمـة تسـبق التـاريخ بالهـمم

القصة

البيت العتيق

قدور بن مريسي

الأولاد غارقون في اللعب والمرح حول بيتهم هذا البيت العتيق الذي يقف صامداً بأقواسه الشامخة وقبته المتنفخة ، إنهم يحلمون بالثلج وقد غطى كل شيء بياضه الناصع ، يحلمون برؤية قوس قزح ممتداً في السماء كأنه سيف ملون ، يتراكضون تارة ويلعبون لعبة الشرطي واللص تارة أخرى ، ها هو الرجل الأشقر ذو العينين الزرقاوين البغيضتين قادم نحو الأطفال يبتسم بخبث ليس كعادته ثم يتمتم : تباً لهم إنهم لا يخشون شيئاً ، لا جدوى من إجلائهم عن هذا البيت لقد فعلت ذلك مرات ومرات ولم أفلح ، حسناً سأغير الخطة هذه المرة .

إقترب من الأولاد وأخذ يتفرسهم بعينيه واحداً واحداً بعد أن تحلّقوا حوله ، قال بعربية مفككة : إسمعوا لقد حذرتكم من اللعب حول هذا البيت ولم تسمعوا كلامي ، لقد رأيت بأم عيني هناك ثعباناً داخل شجرة الغرقد الملتفة ، تبادل الأولاد النظرات لأنهم ، تفطنوا لكذبته التي يقصد من ورائها تخويفهم وبالتالي الإبتعاد عن هذه الساحة ، عن هذا البيت العتيق الذي شهد صرختهم الأولى وصرخة آبائهم وأجدادهم ، ثم أضاف الرجل قائلاً : لهذا الثعبان لسان مشقوق وستة قرون ! بإمكانه أن يبتلع إنساناً ، ولم يكمل كلامه أو بالأحرى كذبته حتى انطلق الأولاد يسابقون الريح كأنهم خيول تعدو وتصهل يدفعهم التحدي حتى وصلوا إلى مكان الثعبان المزعوم ، قال أصغرهم سناً كَ إني أسمع فحيحه ، قال آخر : سأقطع لسانه ، بينما تألم ثالث لوخز هذه الخبيثة ذات الأشواك ، وبينما هم مشغولون بهذا الأمر حتى رآهم الشيخ أبو صامد حيث كان في طريقه إلى أداء صلاة العصر ، هذا الشيخ الذي جاوز السبعين ومازال يحتفظ بحيويته ونشاطه ومازال محل تقدير واحترام من طرف الصغار والكبار ، ناداهم وهم مشغولون:

ماذا تفعلون ؟ قال صغيرهم : ثعبان له لسان مشقوق وستة قرون ، اليهودي عذراً هو الذي قال هذا .

اقترب الشيخ أبو صامد وهو يقول بتعجب : الكذب عندهم سجية ، يكذبون على الصغار يالهم من خنازير ! ابتعدوا من هنا ، قال صغيرهم : ولكني أسمع فحيح الثعبان؟

ابتسم الشيخ أبو صامد ثم تقدم منه وانحنى ليطبع قبلة على خد الصغير المتورد ثم قال : إن الذي سمعه هو الصوت الناجم عن تخلل الهواء بين فروع هذه الشجرة الملتفة بدون فائدة ، ها هي ذي الشجرة المباركة ، لماذا لا نسمع بها فحيحاً ؟ لأن أغصانها متناسقة مشيراً بعصاه ، إلي شجرة زيتون عظيمة ثم أضاف قائلاً : لقد تجاوز علو هذه الشجرة ثلاثين قدماً ، وشجرة الزيتون يا أولادي من أقدم الأشجار المعروفة في الدنيا ، قال الولد الصغير : لقد أقسم الله بها في سورة التين ، رد الشيخ باعتزاز : أحسنت أيها الصغير المجتهد ، وشجرة الزيتون يا أولادي دائمة الخضرة في وطنها فإذا نقلت إلى الأقاليم الباردة سقط ورقها في الشتاء ، قال الأولاد بصوت واحد : لذا يجب أن لا تنقل هذه الشجرة من وطنها الأصلي ، قال الشيخ أبو صامد : إذن يجب عليكم أن تغرسوا أشجار الزيتون في كل مكان .

لا زلت أحلم

ممدوح عبدالجبار البصيلي

أنا وأخي هناك جسدان وروح واحدة . . . .

والشمس مشرقة في ذلك الأفق البعيد وقد دخلت أشعتها من النافذة ساعة استيقظت من نومي . . . .

تساؤلات طافت بخيالي أهذه هي الشمس التي ودعتها وقت الغروب بنظرات من الرجاء والأمل . . . ؟ هي الآن تأتي ثانية كأم تهنيء أطفالها صباح العيد . . . . .

نظرت إليها . . وأجلت النظر في الغرفة وجسد أخي الملقى بجانبي . . . . .

تحسست عيني بيدي . . . . . ترى أأنا هو ذلك الشخص الذي انطرح قبل ساعات قلائل مضني الجسد . . . . ؟

آه كم هذه الشمس تعيد إلى الثقة في كل شيء في هذا العالم المتهالك أمامي . . كم تشعرني بالأمل والطموح . . . . . كل الذي جرى بالأمس لايزال مبهماً في ذهني كضباب المساء . . . . . . وبكاء طفل صغير لا تعلم أمه سبب بكائه وشكواه . . . . .

ليتني كنت لا أحمل اسماً حتى ينكرني هذا العالم ويقذف بي خارجاً . . لماذا كل هذا اليأس والخوف والألم . . . ؟ لماذا نحن نسعى إلى تفهم نفوس الآخرين ونفوسنا مغلقة على فهمنا . . ؟

لماذا دائماً نبحث عن الأشياء التي لا نستطيع تمييزها . . ؟

لماذا الأشياء الواضحة لا نعيرها أي إهتمام . . ؟

خرجت إلى الهواء الطلق ولازال رأسي يحمل الكثير من التساؤلات عن الأمس . . . ؟؟؟

ما أتعس أن يمزق أقرب الناس تلك الأوراق الثمينة من كتاب حياتك ويلقي بها في سلة المهملات أو على قارعة الطريق . . . .

لم أعد أشعر بالسعادة في أنصاف الحلول . . . .

التفت خلفي إلى داخل الغرفة على صوت أخي ينادي بصوته الجهوري المبحوح . . . ماذا تفعل عندك . . ؟ أتريد أن تتعرف على بيت والدك من جديد ؟ أم لازلت تحلم كما عهدي بك . . ؟

وقهقه بصوت عال . . . .

هيا احضر الإفطار لأخيك الكبير ودعك من هذا الهذيان فوالدك مات . . . وأمك هناك مع زوجها في تلك المدينة . . . . . أقسم لك أنها لا تريد أن تراك . . ولا يوجد غيري أنا . . . .

وأطرقت النظر وخرجت لا ألوي على شيء والسؤال يكبر داخل رأسي . . . . من الذي جنى على أخي ؟ أنا ؟ أو الناس أو أمي ؟ أو هو من جنى على نفسه . . . ؟ هل عودته وخروجه من السجن سعادة أم تعاسة بالنسبة لي وله ؟

ماذا يريد أن يفعل بي هو وفكره المجنون . . . . ؟؟

ما حدث بالأمس لايزال يرن داخل رأسي . . . . تحسست رأسي ونظرت إلي الشمس ، ومضيت لأحضر له طعام الإفطار . . . . .

عدت إلى منزلنا وأخي كما عهدته يحب الفوضى في كل شيء ، يشعر بالحنق والغيظ عندما يرى كل شيء في مكانه . . . . فيسارع إلى تغيير الأشياء ويبعثرها ويعبث بها حتى يرى الفوضى تعم كل شيء من حوله . . . . قتلني بالأمس . . . وها هو يمد مديته إلى رقبتي ليقتلني مرة أخرى . . . .

خمس سنوات قضاها في ذلك السجن الموحش . . ولكنها لم تعلمه شيئاً . . هو أخي الذي الذي عرفته لم يتغير . . . . ينظر إلى صورته في المرآة فلا تعجبه فيهم بتحطيمها . . كم أشعر بالشفقة على أخي وعلى نفسي . . . . .

نظر إليّ وكأنه يزدريني وقال . . . لازلت في هذيانك وأحلامك بعالم لا يشوبه الخلل والخطأ . . . الخطأ ياعزيزي هو رونق الحياة . . . .

نظرت إليه بعين المتفحص . . . وتمتمت . . . .

قتلتني بالأمس وها أنت تسعى إلى قتلي مرة أخرى . . . . .

خمس سنوات من عمري قضيتها في تلك المدينة غريباً تتقاذفني أمواج هذه الحياة يمنة ويسرة . . . تلوكني شوارع هذه المدينة وأبنيتها العالية يلوكني كل شيء فيها حتى عرباتها . . . وتقذف بي بعيداً كأنني شيء مهمل لا أهمية له . . . خمس سنوات من عمري وأنا أجدف عكس التيار حتى أنتصر عليه والناس في قريتك يمضغونني أنا وأمك وأنت بألسنتهم ، يمزقوننا بسكاكين حقدهم . . يحرقوننا بنيران كذبهم . . . . . .

أتعلم ماهي جنايتي الوحيدة ؟ ربما أنك لا تدري ؟

جنايتي الوحيدة أنك أخي . . . لقد دمرت بتصرفاتك وسلوكك كل عزة وكبرياء داخل نفسي . . . دخلت تلك الغياهب فقتلتني . . . . . .

وأنت لازلت تهذي وتدعي العقل وأنت المجنون الوحيد في هذا العالم .

خمس سنوات وأنا أحلم أن أعود إلى قريتي لأنني لا أريد أن أعيش في هذا العالم الزئبقي الغريب . . ما أتعس أن تسحقني أقدام الغربة والأعوام . . . .

كنت أحس أنني وحيد شريد بين السائرين يمنة ويسرة ولا أحد يعيرني اهتماما . . .

كنت أريد أن يسألوني . . . لا أقول لهم أن لي حباً تركته هناك في قريتي الصغيرة ولا يزال يكبر داخل نفسي وأريد العودة إليه حتى لا يتلاشى ويصبح سراباً كما الأحلام التي مضت وتبخرت في شروق الشمس . . . . . ولذلك أحلم بالعودة إلى من أريد إلى ذلك القلب الذي لا يزال ينتظرني بين اليأس والرجاء . . . . . .

انقضت مدة دراستي ومضت معها أوقات فيها قليل من الفرح والكثير الكثير من الأحزان وكثير من أحلامي الجميلة لكنك لازلت تسكن قلبي فأنت أخي الوحيد. . . وابنة عمي التي لازالت تنتظر هذا القادم ليعود إليها وفي يده ورود هذا العالم بعبقها وأريجها . . . آه كم أنا مشتاق للعودة ، سأعود من هذه المدينة إلى قريتي ويتحقق ولو جزء بسيط مما كنت أحلم به . . . . وانتظرتك حتى تخرج من سجنك فنذهب سوياً إلى عمي لتبارك زواجنا أنا وهي . . . . .

وخرجت من سجنك الآن لتغرس سكينك في عمق أعماقي لتقتلني مرة أخرى . . . . وها أنت تطلب مني أن أذهب معك بدل أن تذهب أنت معي . . . لكي تأخذ مني وردتي الجميلة الشيء الجميل المتبقي في حياتي . . . . عند ذلك تمنيت أنك لم تخرج من سجنك . . . تمنيت أن أمزق هذا العالم كما مزقت أوراق حياتي ولازلت مستمراً على تمزيقها . . . . .

حاولت في تلك اللحظة استجماع خواطري وأن ألم شعث فكري . . . . .

ولكن كلماتك كانت تخترق جسدي مثل النيازك الهابطة من السماء إلي الأرض فتحرقني . . . . وعقدت الدهشة لساني وأحسست بالفعل أنك قتلتني للمرة الثانية . . . . . .

لم أفق من تخيلاتي ودهشتي إلا على صوت أخي . . . .

يأمرني بالانتباه إليه . . . متى سنذهب إلى عملك حتى نخطب ابنته . . ؟

نظرت إليه وأنا متأرجح بين المد والجزر واليأس والرجاء . . . . .

في أي وقت تريد سوف نذهب . . ؟ نهرني وقال لي . . . . سنذهب الليلة !!!!!

هيا لتجهز نفسك واحضر معك نقوداً وهدايا . . . . . هيا بسرعة .

لم أنطق . . . لساني عقدته الدهشة . . . . . أخي يقتلني ويسرق أحلامي فكرت بالهرب ولكن إلى أين سأهرب؟

كل شيء يجبرني على البقاء دفين أحزاني . . . وهذه الحياة علمتني كل شيء حتى الكذب على نفسي . . . .

وحل المساء ذلك المساء الحزين الكئيب . . . . . . وأخي يصلح من هندامه أمام المرآة ويلعنها ويشتمها كعادته . . . وكأنها هي من تعبث بهندامه . . . .

خرجنا أنا وقاتلي أساق إلى حبل المشنقة . . وجلادي يأمرني بالإسواع . . . لكي ينفذ مهمته بأسرع وقت .

ها نحن على مشارف قريتنا التي طالما حلمت بالعودة إليها ولم يعد يفصلنا عن بيت عمي وموعد نهايتي سوى خطوات تتقلص مع مرور الثواني فيزداد اضطرابي .

أحاول الشرود والتفكير بشيء آخر عسى أن يخفف ما بي . . . . .

هل مازلت أحلم . . . . ؟؟؟؟؟؟

كلا فلقد وصلنا إلى بيت عمي . . وبعد فترة بدأ أخي الحديث وأنا شارد الذهن . . . .

وخيم السكون على المكان . . . . وعمي ينظر إلى أخي بدهشة واستغراب منكراً عليه ذلك الطلب المفاجيء .

وقطع عمي ذلك السكون راداً عليه . . . . . ولكن ابنتي خطبت ليلة البارحة وحدد ميعاد الزواج . . . . ألا تعلم . . . . ؟؟

نظرت إلى أخي في دهشة ووجوم . . . . وتمتمت . . . .

لقد قتلني مرة أخرى . . . وقبل أن أموت غرس السكين في صدره ليقتل نفسه . . . .

أمعنت النظر إلى عينيه ووجدته لا يزال يهذي . . . .

الشجرة الساجدة

محمد علي وهبة

وأنا ساجدة لله تحت أشعة الشمس الذهبية إقترب مني شاب جميل ، قوي ، تلمع نظراته بالذكاء . كان يجري ، ويقفز عالياً ، ويتنفس بقوة . كنت سعيدة به لأنه يحافظ على قوته بالتمارين الرياضية . لم يشعر بأنني أراه ، فالناس لا يعرفون أن الأشجار ترى وتسمع مثلهم ، وتستطيع أيضاً أن تقرأ أفكارهم . شعرت بسعادة أكثر عندما جلس تحت ظل أغصاني الكبيرة الخضراء ، وأسند ظهره على جذعي ، وهو ينظر إلى الأشجار الكثيرة ذات الفروع الخضراء المحيطة بالمكان ، ولون الزرع الأخضر الذي يغطي الأرض، وألوان الورود والزهور الحمراء والصفراء والزرقاء والبنفسجية التي تظهر في كل مكان من الحديقة ، والعصافير التي تطير ، أو تقف على الأغصان ، أو على الأرض، أو تقفز هنا وهناك في نشاط ، وتملأ المكان بصوتها الجميل ، وقبة السماء الزرقاء الواسعة تغطي كل الدنيا ، كأنها سقف البيت الكبير الذي نعيش تحته في سلام وأمان .

بقي الشاب القوي يفكر وهو يسند ظهره على جذعي ، ثم سمعته يتحدث إلى نفسه قائلاً :

(بعد نجاحي في الجامعة . . يجب أن أبحث عن عمل) .

وسكت وهو يفكر قليلاً ، ثم قال :

(نصحني أبي أن أختار عملاً أحبه) .

وسأله نفسه :

(ما العمل الذي أحبه؟) .

وأسند رأسه فوق جذعي ، وهو يمدد ساقيه وذراعيه ، ويفكر من جديد ، ثم قال :

(أحب أن أكون طياراً . . ورائداً للفضاء ، ومخترعاً . . و . . .) .

وسكت مرة أخرى وهو يرى نفسه جالساً أمام أجهزة القيادة داخل الطائرة الكبيرة التي يقودها ، ويشق بها المسافات العالية في الجو ، وهي تحمل البضائع والمسافرين إلى بلد بعيد .

ثم رأى نفسه جالساً داخل سفينة فضاء كبيرة ، مليئة بأجهزة الحاسوب وآلات التصوير الضخمة ، وهو يرتدي ملابس رواد الفضاء ، وينطلق بسفينته العجيبة في فضاء الكون الفسيح نحو كوكب المريخ الذي يسمونه بالكوكب الأحمر ، والذي يدور حوله قمران .

رأى نفسه بعد ذلك جالساً في بيته ، وهو يفكر تفكيراً عميقاً ، ثم قال :

(سوف أملأ الدنيا بإختراعاتي الجديدة المفيدة) .

الاستراحة

في رياض الأدب

إعداد / د. إبراهيم راشد

١ - استهلال :

«اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنع بطاعتك» .   (دعاء نبوي)

٢ - ظاهرة في تاريخ الثقافة الإسلامية "سماع الشيوخ من تلاميذهم" :

قال ابن حجر في «الدرر الكامنة» في ترجمة صلاح الدين الصفدي (٦٩٦-٧٦٤هـ) : «كان الصفدي قد تصدى للإفادة بالجامع ، وقد سمع منه من أشياخه الذهبي ، وابن كثير ، والحسيني ، وغيرهم» .

علق بعضهم على ذلك بقوله :

وسماع الشيوخ من تلاميذهم ، إذا بلغوا درجة التبحّر في علم تجعلهم أهلاً لسماعهم منهم - ظاهرة في تاريخ الثقافة الإسلامية تستحق أن تكون عبرة للأجيال ، كما نجدها في عبارة ابن حجر السالفة ، وأكثر من ذلك أنا نجد رجلاً فذاً مثل الحافظ الذهبي - وهو شيخ الصفدي - يقول عنه : «سمع مني وسمعت منه» .

٣ - حكاية لطيفة في سبب تعلم ابن بَرِّي علم النحو :

- وابن برِّي : هو أبو محمد عبدالله بن بري المقدسي المصري النحوي اللغوي (٤٩٩-٥٨٢هـ) قال عنه السيوطي : شاع ذكره ، واشتهر ، ولم يكن في الديار المصرية مثله . . وكان قيِّما بالنحو واللغة والشواهد ، ثقةً ، وأجاز لأهل عصره .

- وذكر ابن منظور في لسان العرب (مادة : رمث) أبياتاً من رائية أبي صخر الهذلي ، وفيها :

تكاد يدي تَنْدَى إذا ما لمستُها وتنبتُ في أطرافها الوَرَقُ الخُضْرُ

ثم نقل عن ابن بري قوله : هذا البيت كان السبب في تعلمي العربية - قيل له : وكيف ذلك ؟ قال :

ذكر لي أبي أنه رأى في المنام قبل أن يُرْزَقَني ، كأن في يده رمحاً طويلاً ، في رأسه قنديل ، وقد علقه على صخرة بيت المقدس ، فعُبِّر له أنه يُرْزَق ابناً يرفع ذكْرَه بعلم يتعلمه، فلما رُزِقَني ، وبلغتُ خمس عشرة سنة ، حضر إلى دكانه - وكان كُتُبيّاً - ظافر الحداد وابن أبي حصينة ، وكلاهما مشهور بالأدب ، فأنشد أبي هذا البيت :

تكاد يدي تندى إذا ما لمستها وتنبت في أطرافها الورق الخضر

وقال : الورقُ الخُضْر ، بكسر الراء ، فضحكا منه للَحْنه ، فقال : يا بني ، أنا منتظر تفسير منامي ، لعل اللهَ يرفع ذكْري بك ، فقلت له : أَي العلوم ترى أن أقرأ؟ فقال لي : اقرأ النحو حتى تعلمني ، فكنت أقرأ على الشيخ أبي بكر محمد بن عبدالملك بن السرّاج ، رحمه الله ، ثم أجيء فأعلمه !

٤ - في دوحة الشعر :

أ - باب طريف في تراثنا الشعري :

"من خطب فَرُدَّ، فقال في ذلك شعراً" .

لدي قدر وافر من النصوص مما يدخل تحت هذا الباب ، أجتزىء اليوم بتقديم نصّيْن منها إلى القارىء الكريم :

أولهما لشاعر خطب امرأة ، فردّته لفقره ، فأجابها ناصحاً ، عاتباً ، في رقة أن لا تجعل المال مقياسا لاختيار الزوج ، وعلل لذلك بعلل حكيمة عاقلة .

وأما الثاني ، فطاش حلمه ، وجعل يدعو عليها أن تشقى في زواجها . . . وفي حكمة الأول ، وسفاهة الثاني ما يعجب ويروق ، ويخلب الألباب :

١ - قال حيَّة بن خلف الطائي يخاطب امرأة من بني شَمَجَى بن جرم ، يقال لها

أسماء . وكانت تقول : ما لحيَّة مالٌ . . فقال مجاوبا لها :

تقول أسـماء لما جئت خاطبها : يـاحيُّ ، ما أربـي إلا لـذي مـال
أسماء ، لا تفعليـها ، رب ذي إبل يغشى الفواحش لا عفٌّ ولا نـال[1]
الفقر يزري بأقوام ذوي حسـب وقد يُسوِّدُ غيرَ السيد المالُ[2]
والمال يغشى أناساً لا طباخ لهم[3] كالسيل يغشى أصول الدِّنْدن البالي[4]
أصون عرضـي بمالي لا أدنسـه لا بـارك الله بعد العـرض في المال
أحـتال للمـال إن أودى فأكسبه ولسـت للعـرض إن أودى بمحتال

٢ - وقال شقيق بن السليك - وتروى لابن أخي زر بن حبيش الفقيه القاريء - وخطب امرأة فردته ، فقال :

ونُبِّئْتُها أحْرَمَتْ[5] قومَـها : لتنكـح فـي معشـر آخـريـنـا
فإن كنـت أحـرمـتنا فاذهـبـي فـإن النسـاء يخـن الأمـيـنـا
وطوفـي لتلتقـطي مـثلـنا وأقـسـم بـالله لا تفعلينا
فـإمـا نكحـت فـلا بالـرفـاء إذا ما نكحـت ولا بـالبـنـيـنا
وزُوِّجْـت أشـمـط فـي غـربـة تـجـن الحـليلـة منـه جـنُـونا
خـلـيـل إمـاء يُـراوحـنـه وللمحصـنـات ضـروباً مهينـا
إذا ما نُقـلْـت إلـي داره أعـد لظهـرك سـوطـاً متينـا
وقلّبت طـرفـك في مـارد[6] تـظـل الحمـام عليـه وكـونـا[7]
يشـمـك أخبـث أضـراسـه إذا مـا دنـوت فتستنشقينـا

(١) نال من النَّوَال - أي ليس بذي عطاء .
(٢) في البيت الثالث إقواء .
(٣) لا طباخ لهم : أي لا عقل لهم ولا خير عندهم .
(٤) الدندن : ما بلي وعَفِن من أصول الشجر .
(٥) أحرمه الشيء إذا منعه إياها .
(٦) أراد بالمارد حصناً أو قصراً مما تعلى حيطانه فلا يقدر أحد على ارتقائه .
(٧) يريد أن الحمام يقف عليه فلا يُذعر لارتفاعه .

كأنَّ المساويك في شدقه إذا هنّ أكرهن يقلعن طينا

كأن توالي أنيابه وبين ثناياه غِسْلاً لجينا[1]

ب - مما قال الشعراء في صفة شعرهم :

١ - قال تميم بن أبيّ بن مقبل :

إذا متُّ عن ذكر القوافي فلن ترى لها تالياً مثلي أطبَّ وأشعرا

وأكثر بيتاً مارداً ضُرِبَتْ له حُزُونُ جبال الشعر حتى تيسَّرا

أغرَّ غريباً ، يمسح الناس وجهه كما تمسح الأيدي الأغرّ المشهَّرا

٢ - قال ابن ميادة ـ (الرماح بن أبرد) :

فإن أهلك فقد أبقيت بعدي قوافي تعجب المتمثلينا

لذيذات المقاطع محكمات لو انَّ الشعر يُلبس لارتدينا

٣ - قال أبو يعقوب الخريمي :

من كل غائرة إذا وجهتُها طلعتْ بها الركبان كل نجاد

طوراً تَمَثَّلُهَا الملوكُ وتارة بين الثُّديِّ تُراضُ والأكباد

عني بالغائرة : قصيدة يقولها في الغور ثم يوجهها ، فتسير بها الركبان مصعدة في كل نجد، ويتناشدها ملوك الناس وملوك البيان ، ويتمثلون بها ، ويفتن بها أهل الغناء ، فيروضونها بالتلحين ، فهي تلحَّن على العيدان المحتضنة بين الثُّديّ والأكباد شغفا بها .

جـ - بين قديم وحديث :

قال الشاعر القروي رشيد سليم الخوري - في معنى الحض على البر والصدقة :

من حبة القمح اتَّخذْ مَثَلَ الندى يا من قبضت عن الندى يمناكا

هي حبة أعطتك عشر سنابل لتجود أنت بحبة لسواكا

حلمت بأن ستعيش في خبز القرَى فتراقصت للموت حول رحاكا

---

(١) الغِسْلُ : الخِطميُ ، واللُّجين المضروب بالماء ، يشبه بذلك ما ركب أسنانه وأنيابه من الخضرة .

وكأنما الشـق الذي في وسطهـا لك قائل : «نصفي يخص أخاكا»

وهذا المعنى إنما سبق إليه المعري حين قال :

إنّ شـقّـاً يلـوح في باطـن البُـرَّة قسـم بيني وبيـن الضعيـف

فأخذه القروي ، وقدمه - مبسوطاً - في صورة رائعة .

د - من أخطاء الشعراء في المعاني :

قال الآمدي في «الموازنة» :

«. . . وعيبَ على أيمن بن خريم قوله يمدح بشر بن مروان :

فإنَّا قـد وجـدنـا أمَّ بشـر كـأمِّ الأُسْـد مـذْكـاراً ولـودا

وقالوا : أخطأ في أن جعل أمَّ الأسـد ولوداً ؛ لأن الحيـوانات الكريمة عسرة ، نَزْرة النِّتاج . والصواب قول الآخر :

بُغاثُ الطـير أكثرها فـراخـا وأمُّ الصقـر مقـلاتٌ نَـزُورُ»

- ويوضح ما ذكر الآمدي الخبر التالي :

روي عن الشاعر «هوميروس» اليوناني أنه جاءه الشاعر «ايرخس» يفاخره بكثرة شعره، وسرعة عمله ، ويعيِّره بقلة شعره ، وبطئه ، فقال له «هومير» مفحماً :

بلغني أن خنزيرة بأنطاكية عيَّرت لبؤة بطول زمن الحمل ، وقلة الولد ، وفاخرتها بالسرعة والكثرة ، فقالت لها اللبؤة :

لقد صدقتِ ، إنِّي ألدُ الولد بعد الولدِ ولكن أسدا !!

٥ - من الجوابات المسكتة :

- ذكر التنوخي في «نشوار المحاضرة» عن الوزير العباسي صاعد بن مخلد أنه حُكيَ له جود البرامكة ، فقال : هذا من موضوعات الورَّاقين وكذبهم ، وكان أبو العيناء حاضراً، فقال له :

فلم لا يُكْذَبُ على الوزير - أعزَّه الله ، وهو حيٌّ يرجى ويُخاف ، وأولئك مأيوسٌ

من خيرهم وشرِّهم - مثل هذا الكذب ؟

- وحكى أن أبا عمر القاضي دخل إلى الوزير أبي الحسن علي بن عيسى وعليه قميص دبيقي فاخر ، فقال أبو الحسن : يا أبا عمر : بكم اشتريت شقة هذا القميص ؟ قال : بمائتي دينار ، فقال : ولكني اشتريت هذه الشقة التي قَطَعْتُ منها هذه الدرّاعة ، وهذا القميص الذي تحتها بعشرين ديناراً .

فقال أبو عمر مسرعاً كأنه قد أعدّ له الجواب :

الوزير - أعزه الله - يُجَمِّل الثياب ، ولا يحتاج إلى المبالغة فيها ، ونحن نتجمَّل بالثياب، فنحتاج إلى المبالغة فيها ؛ لأنا نلابس العوامّ ومن نحتاج إلى التفخيم عليه ، وإقامة الهيبة في نفسه بها . والوزير - أيده الله - يخدمه الخواص أكثر من خدمة العوامّ ، ونعلم أنه يدع هذا عن قدرة .

قال التنوخي : فكأنما ألقم أبا الحسن حجراً ، وسكت عنه .

٦ - من أدب الأعراب :

- روى الأصمعي قال : سمعت أعرابياً من بني كلاب يذكر رجلاً فقال :

«كان - والله - الفَهْمُ منه ذا أذُنَيْن ، والجواب ذا لسانين ، لم أر أحداً كان أرْتَقَ لخلل رأي منه ، ولا أبْعَدَ مسافةَ روية ، ومراد طرف ، إنما يرمي بهمته حيث أشار إليه الكرم ، ومازال - والله - يتحسَّى مرارة أخلاق الإخوان ، ويسقيهم عذوبة أخلاقه» .

- ونعت أعرابي رجلاً ، فقال :

«كأن الألسنَ والقلوبَ رِيضَتْ له ، فما تنعقد إلاّ على ودِّه ، ولا تنطق إلا بحمده» .

- ومدح أعرابي رجلاً فقال :

«كان - والله - من شجر لا يُخْلِفُ ثمره ، ومن بحر لا يُخافُ كَدَره » .

- ووصف أعرابي رجلاً فقال :

«هو أطهر من الماء، وأرقُّ طباعاً من الهواء، وأمْضَى من السَّيْل، وأهدى من النَّجْم» .

٧ - تشبيهات نادرة :

كان الإمام عبدالقاهر الجرجاني يرى أن حسن التشبيه وبراعته ، وشدة أسره ، وعظيم وقعه في النفس يأتي أحياناً نتيجة لجمع الشاعر أو الناثر بين طرفَيْن متباعدَيْن ، يلمح بعبقريته وجه شبه بينهما ، فإذا بهما متقاربان غايةَ ما يكون التقارب .

وهذه تشبيهات عجيبة تصلح أمثلة لما ذكر عبدالقاهر رحمه الله :

- بدأ اليوم وضيئاً ، مصقول الحواشي كثمرة شُقَّتْ لساعتها .
- سكون الأدغال ، كأنه عدو كامن علَّق أنفاسَه .
- يتواثب الأطفال حولها كالسمك .
- وجه رقيق كضوء الشموع .
- إن ذاكرته ليست أقوى من ذاكرة المرآة .
- ظهرت المشاحنات كالبثور القبيحة .
- طعن البرقُ صدرَ الأرضِ بنصل لامع .
- يهمي المطر وفيه لجاجة أنثوية عذبة .
- هي الحبكة في قصة حياته .

٨ - عود إلى الشعر :

أ - من رقيق شعر ذي الرمة :

ارتبط شعر ذي الرمة (غيلان بن عقبة) في أذهان عامة المثقفين بالغرابة ووحشية الألفاظ ، وأنه يذهب في شعره مذهب الجاهليين في بكاء الأطلال وصفة الناقة ، ووصف الفلوات . . والحقّ أن في شعره - وبخاصة ما قال في «مية» المنقرية التي عشقها واشتهر بها - من الرقة والعذوبة كما في شعر العذريين .

فمن ذلك قوله :

إذا هبَّتِ الأرواحُ من نحــو جانبٍ   به أهـلُ مَيٍّ هـــاج قلبـي هبوبُها

هـوىً تـذرفُ العينـانِ مـنه وإنمـا ... هَـوَى كلِّ نفسٍ حيث كان حبيبُها

وقوله :

ونشوان من طـول النعـاسِ كأنـه ... بحبلَيْنِ في أنشـوطـة يَتَرَجَّـحُ

إذا مات فوق الرَّحْلِ أحييتُ روحَه ... بذكراك والعيسُ المراسـيلُ جُنَّحُ

ونسب إليه :

ألـم تعلمـي أنَّا نَبَـشٌّ إذا دَنَـتْ ... لأهـلك منَّا نـيَّـةٌ وَحُـمُـولُ

كمـا بَـشَّ بالإبصارِ أعمى أصـابَهُ ... من اللّه جُـلَّى نِعْمـةٍ وفُضُـولُ

وقوله :

فـإن لا يكـن إلاّ تعلُّلَ ساعـةٍ ... قليلاً ، فإنِّي نـافـع لـي قَليلُها

وقوله أيضاً :

عشيَّة مسعـود يقول وقد جـرى ... على لحيتي من واكف الدمع قاطرُ

أفي الدار تبكي إذ بكيت صَبَابَةً ... وأنـت امـرؤ قد حَلَّمتك العشـائر

وإلى بيتيه هذين أشار أبو تمام - متظرفاً - حيث قال :

إن كـان مسعـود سقى أطلالهم ... سَبَلَ الشؤون فلستُ من مسعود

ب - من نفيس شعر المحدثين :

قطعة للدكتور محمد عوض محمد «عالم جغرافي مصري - كان من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة - توفي سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م) نشرت بمجلة «الرسالة» تحت عنوان «أمْنيّة» :

ألا من لنفسي - والأماني عزيزةٌ - ... بأرض خـلـت من ظـالـمٍ ولئيـم

وصـومعة شيدَتْ على رأس ربـوة ... مهـبِّ رياح : زعـزع ونسيـم

تُطلُّ على بحـر يعـبُّ عُـبابُـه ... كصـدر لأسـرار الزمـان كتـومِ

ومـن خلفها ينبوع مـاء مسلسل　كـدُرٌّ على نَحْـر الصخـور نظيـم
أطالع منها الكون سفراً تزاحمت　به الآيُ ، قد خـطَّته كـفٌّ حكـيم
وأقـرأ منها الغـيب سـراً محجباً　بقلـب بصـير بالخـفيِّ علـيم
وإن زارني فيهـا الردى متخشعاً　فأهـلاً به مـن زائـر ومـقيـم

جـ - نصيحة :

ذكر ابن بشكوال في كتاب «الصلة» قول أبي الحسين سراج بن عبدالملك بن سراج يخاطب الراضي بن المعتمد بن عبّاد :

بُثَّ الصنائعَ لا تحـفـل بموقعهـا　من آملٍ شكـر الإحسان أو كَفَرَا
فالغيثُ ليسَ يُبالي أين ما انسكبت　مـنه الغمـائم تُرْباً كان أو حَجَـرَا

٩ - موعظـة :

أورد البيهقي في كتابه «مناقب الشافعي» قول الحسن البصري رضي الله عنه :

«ابنَ آدم ، كيف تكون مؤمناً ولا يأمنك جارك ؟

ابن آدم ، كيف تكون مسلماً ولا يسلم الناس منك؟

ابن آدم ، إنك لن تصيب حقيقة الإيمان في قلبك حتى لا تعيبَ الناسَ بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت آخر ، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصةَّ بدنك ، وخير عباد الله تعالى من كان كذلك» .

ومن كلمات الحسن :

«حَادثُوا هذه القلوبَ بذكر الله ؛ فإنها سريعة الدثور ، واقْدَعوا هذه الأنفس ؛ فإنها طُلَعَة ، ولا تدعوها فتنزع بكم إلى شر غاية» .

عني بقوله «حادثوا هذه القلوب» : اجلوها واغسلوا عنها الدَّثرَ والطَّبَع بذكر الله تعالى ، كما يُحادَثُ السيف إذا صُقل وجُلي ، ومحادثة السيف : تعهده بالصقل وتطريته ؛ فشبّه ما يركب القلوب من الرَّيْن بالصدأ ، وجلاءها بذكر الله بالمحادثة .

وقوله «اقدعوا» أي كُفُّوا ، فالقدْع : الكف

وقوله «طلعة» يعني أنها تتطلَّع إلي هواها وشهواتها .

١٠ - مسك الختام :

ورد في الأثر أن خليل الله إبراهيم - صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم - كان إذا طلع عليه الصباح يدعو :

«اللهم ، هذا خلق جديد فافتحه عليَّ بطاعتك ، واختمه لي بمغفرتك ورضوانك ، وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكِّها وضَعِّفْها لي ، وما عملت من سيئة فاغفره لي ؛ إنك غفور رحيم ودود كريم» .

أقـــلام واعـــدة

الجـــدار

سـعيد عوض القحطاني

بعد أن صلى العشاء في المسجد اتجه إلى جنوب القرية وبدأ ينشر خطواته على أزقة القرية وشوارعها الضيقة التي يسكنها كان لحظتها يدق آخر مسمار في نعش العزوبية أو يحاول .

هو شاب يحمل رزماً من الأحلام والآمال موضوعة بشكل عشوائي في رأسه كان ساعتها قاصداً بيت تلك الفتاة التي خفق لها قلبه فقد مر أسبوعان منذ أن اتفقت الأسرتان على الموافقة المبدئية على الزواج والليلة سيمثل وحيداً لسماع الشروط والمداولة على أمر المهر وغيره من الأمور التي تهم هذا الموضوع .

كان يتمتم في طريقه بكلمات مفهومة وأخرى غامضة . . يا ترى هل سأكون أحد المتضررين من غلاء المهور ؟ ذلك الشبح الرهيب القابع على بوابة القفص الذهبي ؟ ذلك الشبح الرهيب الذي أخر زواج الكثير والكثير جداً من الشباب ؟ ولكن سرعان ما تتحول الكلمات إلى حجر يهوي فوق رأسه فقد وصل إلى بيت زوجة المستقبل في وقت لم يعتده وأخرج منديلاً أزال به بعض قطرات العرق من على جبينه رغم برودة ذلك الليل في القرية .

كان يعرف أن من اختارهم ليكونوا أهلاً لزوجته أناس بهم شيء من الطمع وحب الدنيا ولكنه كان يطمع في أن يكونوا لطفاء معه بحكم القرابة والأهم من ذلك أنه يحبها وهي أيضا تبادله نفس الشعور منذ كانا طفلين يلعبان معاً في الأزقة الضيقة والصغيرة في القرية .

وبعد أن كبر لازال يبادلها نفس الشعور ولكن عادات القرية وتقاليدها تمنعه من البوح بذلك وكم كان يحلم أن يأخذها إلي البعيد ويفرش لها كل الدروب عشباً أخضر

وأن يمهد لها كل طرق العيش السعيد الذي تحلم به أي فتاة ويطير بها على السحاب (ولكن حسب قدراته) .

كان عازماً أن يضع قلبه بين أصابعه . . . ولكنه في لحظة ضعف خاف أن تغرقهما العواصف والزوابع (أمها وأبوها) . . . ؟؟؟

فتحوا له الباب ورحبوا به أجمل ترحيب فقد أقبل صيد ثمين هكذا كانت النظرة الخاصة بهم نحوه . . ؟؟ وقبل أن يجلس قال في قرارة نفسه : سأتحمل شروطهم مهما كانت النتائج ، بعد أن قدموا له القهوة والشاي بدأت وقائع المحاكمة العلنية الأولى .

كان أول المتكلمين أمها (حماة المستقبل) وقفت في شموخ عنكبوتي لتطلب أشياء فوق طاقته المعتادة . . .

(الزواج سيكون في فندق خمسة نجوم) ، كيف له بذلك وأقرب فندق يبعد مسافة مائة كيلومتر وتزيد . . نعم فابنتها ليست أقل من بنت جارهم التي تزوجت في الفندق . طأطأ رأسه مع أول طلب . السكن يكون (فيلا) والذهب من كل شكل وصنف . . الملابس من تصميم أشهر مصممي الملابس العالميين وبالتحديد كريستيان ديور (ولكن بحق الله من هو هذا الشخص وكيف سمعت به وهي في أقصى بلاد العالم بالنسبة له) إلى غير ذلك من الطلبات .

أغمي عليه من هول ما سمع . . . استطاعوا بعد جهد أن يجعلوه يفيق لا لشيء إنما لإكمال بقية الشروط عرف من سكوت حماته أنها أنهت كلامها ، جاء دور الأب وقد كان رحيماً مقارنة بالأم نوعاً ما فقد طلب مهراً لو استطاع أن يدخر مرتبه كاملاً دون أن ينقص منه شيئاً لمدة عشرين سنة على أقل تقدير لما استطاع أن يوفره .

تماسك هذه المرة فلم يغم عليه وكان كالذي قام من النوم لتوه ؟؟؟ أحس أنه فقد جزءاً كبيراً من جسمه وأن أهل زوجة المستقبل يعرفون أنه تخرّج في الجامعة منذ أقل من السنة ولم يمض على تعيينه في الوزارة التي يعمل فيها أكثر من ثمانية أشهر .

كان في داخله سؤال يريد أن يطرحه على أهل زوجة المستقبل (أو من كانت ستكون) يريد أن يدفع به الموج . الناس يبحثون لبناتهم عن رجال يصونونهنّ وأنتم

تبحثون عن أشياء شبه مستحيلة أو المستحيل بعينه بالنسبة لمن هو في مثل ظروفي ولكنه سكت فالسكوت من ذهب .

أراد أن يصرخ . . . ولكن لم يستطع ، فقرر أن يخرج لأنه شعر بصداع رهيب فضلاً على ما هو عليه قال في نفسه : أين الباب ولكن بالفعل كل الطرق تؤدي إلي روما، عفواً إلى الخارج ، تحسرت هي على مستقبلها فقد عرفت أن مثل هذه الشروط والمواصفات لن تكون بالتأكيد في شاب في بداية حياته ولن تتوفر سوى في شخص كبير مثل والدها أو جدها وتحسرت كثيراً على مستقبله ومستقبلها أيضاً فهو شخص طيب القلب ولكن ماذا بيده وقد سدت كل الطرق في وجهه .

في رحلة هروب من الحقيقة والواقع سافر إلى المدينة التي يعمل بها سراً دون علم من أهله ، أما هي فقد عذرته لما سمعت وشاهدت وفوضت أمرها لله سبحانه وتعالى .

بعد أسبوع وعن طريق الصدفة علم أنها تزوجت من تاجر كبير معروف لكنه في مثل عمر والدها على أقل تقدير ، ، ،

تمنى لها من كل قلبه السعادة والتوفيق فالأمنيات هي كل ما يملكه بالنسبة لها . وإن كان قد شعر بالأسى في نفسه .

أما هو فقد قرر أن يستمر في حياة العزوبية إلى آخر مشوار حقاً إن الحقائق لم تعد تهم والحب والتفاهم أيضاً . . . المهم الآن هو المال والمال فقط ، المال أصبح هو الاختيار الأول والأخير والوحيد في هذا الزمن .

سؤال وحيد ظل في خاطره مدة ليست بالقصيرة : يا ترى هل يأتي اليوم الذي أجد فيه زوجة لي ولكن بمهر وشروط معقولة أيضاً ؟؟؟

الآن بلغ الرابعة والثلاثين من العمر ولم يستطع أن يجد إجابة على هذا السؤال .

ولا زال يقول في نفسه : هل سيتحطم الجدار ذات يوم . . . ؟؟!

أبها

يعقوب علي إبراهيم عقيل

ضاق الفؤاد بواسع الأركان ... فاسمع تباريحي وشجو جناني

كم ليلة عانيت فيها الطول من ... ألم الجوى والطول قد أشجاني

كم ذا أقاسي الليل أرعى زُهره ... إذ ما خبا نجم بدا لي ثاني

سلبت فؤادي غادة من نظرة ... إذ لم يكن غضي من الإمكان

ولرُبَّ نظرة عابر فتكت به ... كيف الذي هو دائم الإمعان

حسناء لو نظم القصيد لوصفها ... أبداً لبانت فوق أي بيان

وإذا أردتَّ لها بليغ مدائح ... فانظم قصيدك من أثين جمان

أو صغه لحناً ثم صغ نغماته ... درراً من الياقوت والمرجان

إن التي سلبت فؤادي لم تكن ... يوماً تصنَّف في بني الإنسان

هي بلدة قد حل قلبي حبُّها ... ومحبتي الأوطانَ من إيماني

يا سائحاً في الأرض طاف بشرقها ... وبغربها قد سار في البلدان

هلاَّ شددت من الركاب مطية ... وقصدت أبها دون أي مكان

فهي المصيف فلا مصايف مثلها ... قد مُيِّزت عن غيرها بجنان

فإذا الضباب يلفها فكأنما ... خودٌ قد اتشحت كسا الإفتان

وإذا همى غيم حسبت رفانه ... دمعاً تهاطل من جفون حسان

وإذا سألت عن المناخ فإنه ... يبدي الفصول جميعها في آن

وتطاولت فخراً بأن قد توِّجَت بأميرها وأمير كل بيان

إذ جاءها كالبيد قفراً مقحلاً فأحالها روضاً شبيهَ جنان

وأحلها في المجد صفاً أولاً إذ عاف أن يأتي بها في ثاني

أبها أتيتك لا أريد إقامة فإذا المكوث يصير من دَيْدَاني

ما أنصفتك مدائحي إذ صغتها نظماً فوصفي جاء بالنقصان

قد عانقتك السحب وهي بعيدة هذا لعمر الله رفعة شان

يكفيك أنك في الجمال وحيدة قد جل شيء ليس منه اثنان

يا مصحفي

رفعت عبدالوهاب المرصفي

يا مصحفي يا مصحفي — يا خير كُلِّ الأحرُفِ
أنت الضياء إلى المدى — وبنور هديك نكتفي
يا مصحفي أنت السنا — وبك البشارة والمُنى
أنت الطريق لعزّنا — يا فيضَ نورٍ وارفِ
من غاص فيكَ فقد نجا — من سار بالهَدْي اهْتَدى
يا مصحفي أنت الهُدى — بل أنت كل معارفي
أنت الحديث من الإله — وبك الصيام مع الزكاه
وبك الشرائع مُنتقاهْ — يا مصحفي أنت الوفي
يا مصحفي أنت الشفاءْ — وبك الدواء لكل داء
أنت السّراج المُستضاءْ — وبك الظلام سيختفي
يا مصحفي أنت الصديقْ — يا مصحفي نعم الرفيق
وإذا خشيتُ من الطّريقْ — أمّنْتَ كلَّ مخَاوفي
يا مصحفي يا مصحفي — يا خير كل الأحرف
أنت الضياء إلى المدى — وبنور هَدْيِك نكْتَفي

أرض الحرم

أحمد محمد إبراهيم مباركي

مــــاذا أقـــول ومـــاذا يكتب القلمُ — لأمـــــة تقـــتـــــفي آثارها الأمم
تسـعى إلى الخـيـر في عـزٍ ومكرمـة — ولـلعـــلا دأبهـــا إنَّ العـــلا همم
مــجـــد تليــد وهذا طارف نضـر — وحـاضـر مـشـرق بالخيـر ينتـعم
ترضى من الشـرعـة الغـرّاء منطلقاً — وحكمـهـا من كـتـاب الله يحـتكم
لله درك مـن أرضٍ مــــقــــدســــة — يضيء بين ربى أرجـائهــا الحـــرم
وطيبـة مـهـجـر الهـادي وصحـبته — ومنبـع الـنـور هـذا الـوحي والـقـلـم
هذي السـعـودية الشـمـاء شـامـخـة — إلى المعـالي فكم تسـمـو بهـا القـيم
تجـود بالمال والأرواح مـرخـصـة — في كل ضـائقـة يسـعى بهـا الكرم
فـاسـألْ فلسطين عن أسْمى شـمـائلهـا — وقل للبنان مــاذا تفــعل الهـمـم
وتلك كـابول كم تشـهـد بوقـفـتـهـا — أثناء عــســرتهــا لما بذا السـقمُ
هذي الكويت التي في المهـد آسـرها — جنود شـرذمـة في الليل قـد ظلمـوا
فــقــام فــهــد بعـزم لا مــثـيل له — فــردَّ كـيــداً لمن خـانوا ومن هدمـوا
مَنْ ينصـر الله ينصـره بنصـرته — والله سـبـحـانه في أمـره حكم
قــد هيَّــأ الله للإســلام قــادته — في عـالم مـوحش بالظلم مـحـتـدم
آل السـعـود أولي الخـيـرات قـاطبـة — ذوي العـزائم للأفـعـال قـد عـزمـوا
فـهـد العـروبة من أسـدى بحكمـتـه — حسن الخـصـال ومن أخـلاقـه الشـيم

قراءة في كتاب

البيئة والمناهج الدراسية

د/ طـــلال بكـــري

هذه وقفة مع كتاب (البيئة والمناهج المدرسية) لمؤلفه الدكتور/ أحمد إبراهيم شلبي أستاذ المناهج بكلية التربية بجامعة عين شمس .

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٤ عن مؤسسة الخليج العربي ويقع في تسع وتسعين ومائة صفحة من الحجم الصغير .

يبدأ المؤلف كتابه بتعريف مفهوم البيئة ويعرفه بأنه «الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر» . والبيئة إما أن تكون طبيعية وتتكون من الماء والهواء والتربة والمعادن ومصادر الطاقة والنباتات والحيوانات ، وإما أن تكون اجتماعية وتتكون من كل ما شيده الإنسان في البيئة التي يعيش فيها .

ومكونات البيئة وعناصرها - في نظر المؤلف - إما أن تكون غير حية مثل الماء والهواء والطاقة الشمسية والتربة ، وإما أن تكون حية وهي التي تمثل مظاهر الحياة في البيئة .

ثم يتطرق المؤلف بعد ذلك إلى خصائص النظام البيئي من حيث الاتزان والتغير ويرى أن النظام البيئي دائم التغير من صورة لأخرى وإن كان يأخذ صفة الاتران أيضاً فهو متزن ومتغير . وأهم المباديء الأساسية للتوازن البيئي :

١ - ضرورة تنمية القاعدة المنتجة للنظام البيئي والمكونة من مجموع الموارد النباتية الطبيعية .

٢ - عدم القضاء على السلاسل الغذائية الموجودة وذلك بالقضاء على إحدى

حلقاتها مهما بدت عديمة النفع للإنسان .

٣ - عدم استنزاف العناصر الأولية المكونة للنظام البيئي .

٤ - المحافظة على تنوع الكائنات الحية .

٥ - الإبقاء على تعقيد النظام البيئي وعدم تبسيطه حتى لا يكون نظاماً بيئيا هشاً سريع العطب .

ويتناول المؤلف تطور علاقة الإنسان بالبيئة فيرى أنها مرت بعدة مراحل هي :

١ - مرحلة الجمع والالتقاط .

٢ - مرحلة الصيد .

٣ - مرحلة الرعي واستئناس الحيوان .

٤ - مرحلة الزراعة والاستقرار الحضاري .

٥ - مرحلة الصناعة .

وفي رأي المؤلف أن المشكلات البيئية المعاصرة تتلخص فيما يلي :

١ - استنزاف الموارد الطبيعية .

٢ - زحف الصحراء على حساب الأراضي الزراعية في كثير من أنحاء العالم .

٣ - استنزاف طبقات المياه الجوفية .

٤ - انقراض العديد من أنواع الحيوانات والنباتات .

٥ - تلوث البيئة الناتج عن مخلفات المصانع وغيرها .

٦ - النمو والتحرك السريع لعملية التحول الحضري العشوائي .

٧ - الاستخدام غير المنظم للمبيدات الحشرية وأثر ذلك على صحة الإنسان والحيوان والتربة والمنتجات الزراعية .

٨ - الاستخدام غير السليم لوسائل التكنولوجيا من قبل الإنسان وأثر ذلك السلبي على البيئة .

ويقسم المؤلف التلوث البيئي إلى ثلاثة أنواع هي :

١ - التلوث البيولوجي الناتج عن المخلفات الآدمية والحيوانية .

٢ - التلوث الكيميائي الناتج عن عمليات التصنيع .

٣ - التلوث الحراري الناتج عن رفع درجة حرارة المياه بالمسطحات المائية عن معدلها الطبيعي .

بعد ذلك يسرد المؤلف أثر الملوثات على مصادر المياه وعلى الإنسان إلى أن يصل إلى القول أنه يجب على الإنسان أن يحمي البيئة من أخطاره حيث يرى المؤلف أن الإنسان هو أكثر الكائنات الحية خطورة على البيئة ويطالبه بالاستثمار الرشيد للبيئة في جميع مكوناتها وعناصرها .

وينتقل المؤلف للحديث عن دور التربية والمناهج والمدرسة في حماية البيئة وصيانتها ويرى أن التربية البيئية أصبحت ضرورة ملحة للحد من إهدار واستنزاف وتلوث البيئة ، وهذا لن يتم إلا بحسن إعداد الإنسان وتربيته تربية داخل المدرسة وخارجها ليساهم في الحفاظ على البيئة والحد من مشكلاتها . ثم يتطرق المؤلف إلى مؤتمر تبليس عام ١٩٧٧م وما تبناه من أهداف تربوية بيئية تهدف إلى تربية المواطنين تربية تجعلهم قادرين على التفاعل مع بيئتهم والحفاظ على المصادر الطبيعية ومكافحة التلوث وحل مشكلة الغذاء .

أما مداخل التربية البيئية في المناهج الدراسية فيوردها المؤلف على النحو التالي :

١ - مدخل الوحدات الدراسية : أي أن تكون التربية البيئية وحده دراسية قائمة بدأتها على الخبرة .

٢ - المدخل الاندماجي : تضمين موضوعات بيئية معينة في بعض المناهج الدراسية ، أو تضمين المناهج الدراسية بالمفاهيم البيئية المختلفة .

٣ - المدخل المستقل : تدريس التربية البيئية كمنهج دراسي مستقل شأنها شأن المواد الدراسية الأخرى .

ويرى المؤلف أن لكل من المعلم والطالب دور في الطرق والأساليب التدريسية التي

يجب أن تتبناها المناهج في التربية البيئية ، فعلى المعلم أن ينظم الزيارات الميدانية والدرسات الحقلية وأن يضع الطلاب في مواقف ومشكلات تتعلق بالبيئة وكيفية حلها . أما الطالب فيكون له دور في البحث والتفكير عن مشكلة بيئية ويتبادل مع أقرانه كيفية حلها وأدوات الدراسة اللازمة لذلك .

وأخيراً فإن المؤلف ، ونظراً لتباين البيئات يقترح دراسة البيئات التالية :

١ - البيئة الريفية (الزراعة) .

٢ - البيئة الصناعية .

٣ - البيئة المدنية (الحضرية) .

٤ - البيئة الساحلية .

٥ - البيئة الصحراوية .

أما دور المدرسة في مجال التربية البيئية فيلخصه المؤلف في :

١ - اكساب الطلاب العادات السليمة والاتجاهات والقيم التي تحقق حماية البيئة والبدء بالمحافظة على نظافة المدرسة وصيانة مرافقها .

٢ - تطوير البرامج التعليمية والمهارات التي يمكن استخدامها للمحافظة على الموارد الطبيعية في بيئتهم .

٣ - إكساب الطلاب المعارف والاتجاهات والقيم اللازمة لحل مشكلات البيئة .

٤ - تمكين الطلاب من إيجاد دور لهم في تخطيط أساليب اكتساب المعرفة البيئية واعطاءهم فرصاً لاتخاذ قرارات سليمة بشأن التعامل مع بيئاتهم .

وأخيراً يحسن القول أن الإنسان جزء لا يتجزأ من البيئة التي يعيش فيها ، وتقع على عاتقه مسئولية حمايتها وبث الوعي البيئي السليم ابتداء من المدرسة حتى يمكن الحفاظ على هذه المكتسبات التي منحها الخالق عز وجل لخلقه بمختلف أنماطهم .

والله أعلم .

بين بيادر وقرّائها

« بين بيادر وقرّائها »

لقد ورد إلى ملف بيادر تعقيب من الدكتور السر سيد أحمد العراقي حول الموضوع الذي كتبه الأستاذ الدكتور سعيد عاشور في العدد الخامس عشر عن إعادة كتابة التاريخ فقال : لقد أتيحت لي فرصة الإطلاع على المقال القيم الذي كتبه أستاذ الجيل ، العالم الجليل ، الأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة ورئيس إتحاد المؤرخين العرب بعنوان : «حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي» .

وليسمح الأستاذ الفاضل ، أن يسجل قلمي هذه الإضافة المتواضعة ، لعلها تكون إضافة هادئة ، ومبرئة من كل قصد ، وخالية من أية مبالغة أو إنفعال . وأرجو أن تكون هادفة ، إلى جانب استقصاء الحقائق التي نأمل أن نتوخى فيها الدقة وعدم المغالاة . ورأيت أنه من الأهمية ، أنه لابد من الإسهام لتسليط الضوء على هذا الموضوع الحيوي والهام .

لقد برزت في الآونة الأخيرة آراء كثيرة ومتعددة تنادي ، ليس بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي فقط ، ولكنها تدعو لإعادة كتابة تاريخ العالم كله ، فمعظم دول العالم ظهرت فيها أقلام تقول بإعادة كتابة تاريخ بلادها . . وعلى سبيل المثال ، فهناك مَنْ ينادي بإعادة كتابة تاريخ مصر ، وعلى الأخص التاريخ المعاصر ، أو الفترة التي تلي سنة ١٩٥٢ . والبعض يريد إعادة كتابة تاريخ السودان ، وهكذا . . . وهو نهج لا يعرف على وجه الدقة مراميه أو أهدافه البعيدة والخفية . ومن بين هذه الدعوات من أخذ يدعو لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي . كما أننا لا نعلم على وجه التحديد تاريخ الفترة ، وبداية الفكرة التي انبثقت فيها هذه الدعوة ، سواء أكانت لإعادة كتابة تاريخ دولة بعينها ، أو لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، وقد يكون البعض تأثر برأي البعض الآخر وفكره ،

فعاصرت هذه الأفكار بعضها البعض ، أو تلت الواحدة الأخرى بأزمان متفاوتة أو متقاربة . وهي دعوات بعضها فج ، وبعضها الآخر ينبع من صميم القلب ، وبدافع المصلحة العامة ، أو بدافع الغيرة والإخلاص ، أو أن بعض دوافعها دينية أو وطنية أو قومية أو غير ذلك . إلا أن هذه الدعوات ظلت تتعالى كلما ظهر التباين في الآراء ، أو الاختلاف في وجهات النظر .

ومن المحتمل أن يكون قد ساند هذه الدعوة وشد من أزرها باحثون وكتّاب من ذوي تخصصات أخرى غير مرتبطة بعلم التاريخ وفنونه المختلفة ، غير مدركين بظواهره ، وغير عابئين ببواطنه . وقد تقف من وراء ذلك دوافع أخرى كثيرة منها الخفي ومنها المستتر . وأجد نفسي متفقاً مع رأي العالم الجليل في أن هذه الدعوة ظهرت في فترة بدأت فيها الأفكار والتيارات تصطرع ، مع ظهور بعض المذاهب التي أوجدت تفككاً في العلاقات بين بعض الشعوب ، على الأخص منها العربية والإسلامية . كما أنني أتفق معه في أن علم التاريخ وصل على أيدي المؤرخين والمسلمين - تحت مظلة الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى - إلى درجة من الرقي والسمو ، لم يبلغها أي مجتمع آخر في تلك العصور . وقد خص العرب علم التاريخ - وخاصة التاريخ الإسلامي - بجانب كبير من اهتمامهم ، لميلهم إلى معرفة مصائر الأمم ، وحوادث الأزمان . وقد دوّن المؤرخون المسلمون الموسوعات الجامعة لدراسة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . ومما لا شك فيه أن نفراً من المستشرقين المشتغلين بالتاريخ الإسلامي قد جانبوا المنهج العلمي ، فعمدوا إلى التضليل في أبحاثهم لتعمية العرب والمسلمين عن أمجاد أسلافهم- ومنهم مَنْ كان يسعى إلى إبراز الأخطاء التي وقع فيها العرب رغبة منهم في تفتيت وحدة الشعوب العربية والإسلامية ، أليس هذا يحتاج إلى الرد والتصحيح ؟

إلا أنني - لا أعتقد - أن كل من رفع قلماً يدعو إلى إعادة الكتابة ، يسعى إلى هدم هذا التراث الخالد العظيم . فقد يكون بعضهم من أصحاب المدرسة الحديثة ، التي تدعو إلى التحليل في وقائع أحداث التاريخ وتقويمها ، والبعد عن دائرة السرد التي تحتاج إلى تدقيق وتمحيص ، والخروج بحقائق موضوعية تعمل على غرس القيم الروحية والمفاهيم الأخلاقية والسياسية . وتحمل مفاهيم تاريخية أو قيم تاريخية ، وتلك هي القيمة الحقيقية للتاريخ ، وهدف من الأهداف التي يسعى لتحقيقها . لأن التاريخ حركة دائبة من

الأحداث المتفاعلة بين الإنسان وبيئته في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها . ولقد صاحب التطور الحضاري الحديث تطور مماثل في مفهوم التاريخ وأسلوبه ومنهجه .

فالتاريخ يحتل مكانة مرموقة في عصر يتميز بتقدم العلوم . ولقد بذل المؤرخون جهداً شاقاً في نقل التاريخ من مفهومه القديم المتمثل في الخطابات والأساطير إلى مفهومه الحديث المتمثل في دراسة التجربة الإنسانية بمعناها الشامل ، والبحث عن أسبابها الحقيقية في ثنايا التطور الحضاري للإنسان .

لقد اهتم العرب بدراسة تاريخهم وحضارتهم التي كانت - باعتراف المؤرخين والباحثين - أعظم حضارة شهدها العنصر البشري ، وهي الحضارة الإسلامية . وقد سجل العرب والمسلمون الأحداث المعاصرة لهم ، والوقائع السابقة لدولهم بكل دقة وأمانة ، إلا أن تعرض العالم الإسلامي - بصفة عامة - في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (السادس عشر والسابع عشر للميلاد) ، لموجة عاتية من الجمود والركود الثقافي والفكري ، فاستدعت هذه الظاهرة أيضاً التنقية والتمحيص والدراسة المتأنية ، لأنها كانت فترة ساء فيها الجهل والظلام ، وعمت فيها البدع الشيطانية ، وانتشرت فيها الخرافة والدجل .

لقد أسهم المؤرخون المحدثون من العرب في عدد كبير من جامعات البلاد العربية ، في كتابة التاريخ الإسلامي ، فأصابوا قدر استطاعتهم ، وبذلوا جهداً طيباً في كتابة موضوعات تخص التاريخ الإسلامي - بكل عصوره المختلفة ، وعلى الأخص منها التاريخ الوسيط ، وهي في رأيي جهد عظيم ، وإضافة لها قيمتها التاريخية ، وثقلها العلمي ، فأفادت الباحثين والدارسين ، لأن أولئك استقوا مادتهم من مصادرها الأصلية، ورجعوا إلى الأصول والجذور ، فبحثوا ونقبوا ، وكتبوا دراسة قيمة ومفيدة لباحث التاريخ بوجه عام ، والتاريخ الإسلامي بوجه خاص .

وإذا حدث أن سلمنا برأي الفريق الذي ينادي بفكرة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، فالسؤال المهم الذي يطرح نفسه ، من هم أولئك الذين سيضطلعون بأعباء هذه المهمة - سهلة كانت أم صعبة . مَن هم الذين يقع على عواتقهم هذه المسئولية وهذه

الأمانة التاريخية الكبيرة - هل هم أفراد مخصصون ، وإن كانوا مخصصين ، فمن هم ؟ وهل كل من يرفع رأياً أو يدعو لفكرة جدير بحمل أمانة الأمة الإسلامية ؟

يشترط ابن خلدون - في مقدمته - في المؤرخ أن يكون عالماً بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأمصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال . . . . الخ . ويشترط السخاوي - في التبر المسبوك - العدالة مع الضبط التام والتحري في العادات وعدم المداهنة وأن يكون عارفاً بما ينقله من غيره ، وأن يكون متحرزاً من وقوع المجازفة والبهتان ، معروفاً بالصلاح والتقوى . . . الخ .

فالتاريخ المثالي في نظر المؤرخ هو إجلاء حقيقة تاريخية غير معروفة ، أو تصحيح حقيقة تاريخية خاطئة . . . وبالله التوفيق .

د/ السر سيد أحمد العراقي

ويضيف الدكتور / ضيف الله بن يحيى الزهراني رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى حول موضوع ، إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وتنقيته من الشوائب ، فيقول :

لقد قامت دعوات متكررة تنادي بإعادة صياغة التاريخ ، ولكن هذه الدعوات بقيت حبيسة الأرفف والمنتديات ؟ غير قابلة للتنفيذ ، والمشكلة تكمن في كوننا متفقون من حيث المبدأ على أهمية صياغة التاريخ الإسلامي من جديد ولكننا نختلف عند التنفيذ! والسبب المباشر الذي حدانا على ذلك هو أن كل واحد منا يريد أن يكتب من وجهة نظره القومية ، متأثراً بما تمليه عليه سياسات بلده واتجاهات حكومته ، بغض النظر عن أهمية الموضوع وجديته وخطورته .

كلنا يدرك أن التاريخ «هو المرآة التي يرى فيها الفرد ذاته ، فتتضح له معالم هويته ، وهو مصدر الهامه واعتزازه بنفسه وبأمته وبتراثه ، وهو خير معين في جلاء الحاضر واستشراف المستقبل . . »[1] .

هذا هو التاريخ إذا أردنا (لنا لا علينا) ، لا أحد منا يستطيع أن ينكر التغيرات التي حدثت على الجيل اليوم ، وخاصة المؤرخين منهم ، وليس من العجيب أن يضطر ذلك الجيل إلى إعادة فحص موروثاتهم وفرضياتهم الماضية ، فمن الحماقة أن نحكم على الحجاج بن يوسف الثقفي أو هارون الرشيد أو المأمون . . الخ ، من خلال نصوص وروايات أدبية واهية ، واجبنا كمؤرخين أن نكون محايدين ، لذا فقد جاء الزمن الذي ينبغي أن نعيد فيه أسس الفكر التاريخي وفرضياته الأساسية[٢] وقبل البدء في معالجة الكتابة التاريخية ينبغي أن نعرف أمرين مهمين ، الأول : أنه لا يمكن أن يحدث شيء في أي جزء من العالم دون تأثير على الأجزاء الأخرى ، والثاني : هو أهمية التقدم العلمي (الرهيب) ، وما يفرضه علينا من فرضيات ومعطيات لابد من تطويعها لخدمة البحث التاريخي[٣] .

وإذا نظرنا إلي المؤرخين الذين تصدوا لكتابة التاريخ الإسلامي نجدهم ينقسمون إلى فئتين فئة التقليد ، وفئة التجديد ، فنجد فئة التقليد ينقص دراساتهم التاريخية التحليل والتعليل ، والاستنتاج الجيد ، وتلمس البواعث الخفية وراء الأحداث والتطورات التاريخية والحضارية ، أما فئة المجددين فهم الذين تتلمذوا على علماء الغرب وتأثروا بهم وإن كانوا قد أخذوا بالأساليب الحديثة في البحث التاريخي ، إلا أن غالبيتهم اتبعوا منهج التقيد الغربي ، وفي هذا محاذير كثيرة ، لعل من أهمها ، أنهم طبّقوا مقاييس الحضارة الغربية على حضارتنا الإسلامية ، علاوة على أنهم اتخذوا القيم الغربية أساساً لمحاكمة قيمنا[٤] ، ونحن (جميعاً) بذلك نشوه حضارتنا ومنجزاتنا التي بهرت العالم (في يوم من الأيام) ولازالت محل إعجاب المنصفين والمتلمسين للحقائق التاريخية والحضارية .

وإذا كان التاريخ الإسلامي يمر بأزمة تتمثل في تصفية ما علق به من مكدرات أصحاب الأهواء والبدع والأغراض السياسية ، فإن من الواجب على المؤرخين تلمس احتياجات التاريخ الإسلامي ومعالجتها المعالجة الصحيحة ، وأنا بدوري هنا أطرح بعض الوسائل التي أرى أنها ستساعد في تصفية التاريخ من ما علق به من اتهامات باطلة (لا حول له فيها ولا قوة) ، ومنها (على سبيل المثال) .

أولاً : النظر في حقب التاريخ (Peirodization of History) ، لعل الدكتور/ عبدالله العسكر هو خير من أوضح ذلك[٥] حيث قال : «إن دراسة الحقب التاريخية هي إحدى الأفكار الرائدة التي يحاول المؤرخون من خلالها إلى إعادة المرونة إلى التاريخ» ، وهو بذلك يرى أن تقسيم التاريخ إلى حقب تاريخية قد يساعد في وضوح الرؤية التاريخية ، وخاصة أن الجغرافية المذهبية تسيطر على بعض المؤرخين ، مما ولّد عنها «تناقضاً واختلافاً في نظر المؤرخ المسلم لما يكتبه زميله في موقع جغرافي آخر»[٦] ، إذاً فلابد من دراسة التاريخ ثم كتابته من منطلق تقسيم علمي مدروس ليخدم الهدف والغاية .

ثانياً : الاهتمام بالمصطلح التاريخي ، للمصطلح التاريخي أهمية قصوى في كشف كثير من غوامض الحقائق التاريخية ، والذي يهمنا معرفته في المصطلحات التاريخية هو المصطلح الإسلامي ، فعلى سبيل المثال نتحاشى استخدام مصطلح «الديمقراطية» لأنه لا ديمقراطية في الدين «فالدين يرتكز على الوحي ، وكل إنسان لا يمكن أن يتشرف بحمله هذا الاسم إلا إذا سلم بالوحي»[٧] ، لأننا بذلك نضع المصطلح في غير موضعه ولدينا من البدائل الشيء الكثير ، فلماذا نستخدم الديمقراطية (مثلاً) ، ونترك مصطلح «الشورى» وهو مصطلح إسلامي (قرآناً وحديثاً وإجماعاً) . إذاً فقضية المصطلحات مهمة جداً في فك رموز التاريخ وحقائقه الخفية .

ثالثاً : النظر في علماء التاريخ الإسلامي ، فإذا أردنا استجلاء حقائق الأمور فلابد من التدقيق في رواة التاريخ وكتّابه ، لتسليمنا مسبقاً بتأثر الكتابة التاريخية بالأهواء السياسية ، والنحل المذهبية والطائفية ، فقد كتب التاريخ تحت تأثير أحد هذه الأمور وينبغي أن لا يغيب عن بالنا أنه كان لكل دولة إسلامية أكثر من مؤرخ يكتب تحت تأثير سياسة الخليفة ودولته ، وعداء تلك الدولة للدول السابقة أو المعاصرة لها ، لذا لابد من دراسة شخصيات علماء التاريخ ودراسة عقائدهم واتجاهاتهم السياسية والفلسفية .

رابعاً : نبذ العاطفة الجيّاشة في استقراء الحوادث التاريخية ودراستها ، فالعاطفة أمر مطلوب ، ولكن البحث عن الحقائق التاريخية هدف أسمى من أي اعتبارات أخرى ، فالباحث الكاشف لحقائق الأمور ، يستجلي الخبر بغض النظر عن شخصية ذلك الخبر ،

سواء كان خليفة أو وزير أو عالم أو فقيه ، فجمع المعلومات ودراستها ستبين موقف المؤرخ المسلم عن ما كتب حيال ذلك ، فالعاطفة في الدراسات العلمية إذا طغت عليها أفسدتها وأخرجتها عن جادة الصواب .

خامساً : الحياد العلمي ، ولعل هذا يكمل ما ذكرناه في (رابعاً) ، فالنزاهة والحياد العلمي هما الأساس في الوقوف على غوامض الحقائق التاريخية ، فالمؤرخ الملتزم ذلك هو من وقف مع التاريخ موقف (القاضي العادل) بين الخصوم ، فالقاضي بما أنه عادل فسيظهر الحقيقة أو الحق لأهله ، حتى ولو حف ذلك المشاق والمصاعب فهناك «خطأ يرتكبه عدد من كتابنا ومؤرخينا في حق أنفسهم ، وحق أمتهم ، ألا وهو غلبة الأسى على كتاباتهم عندما يتصدون لتاريخنا[8] .

وكلمة أخيرة هي أن إعادة كتابة التاريخ الإسلامي لا يمكن أن يتم بواسطة الأفراد القلائل وإنما لابد من تضافر مجموعة كبيرة من معاهد البحوث في العالم العربي ، ورسم سياسة موحدة بعيدة عن القوميات العربية ، والنزعات المذهبية والطائفية ، وهذا ممكن إذا خلصنا النيات ، ونبذنا عوامل الفرقة والانشقاق .

تلك هي مساهمة اضعها بين يدي المؤرخ ، الغيور على تاريخه وأمته ووطنه وهي مساهمة محدودة ومشتركة مع بقية زملاء المهنة ، لعل فيما يساعد على وضوح الرؤية الحدث المستكتب فيه ، والله ولي التوفيق ، ، ،

د/ ضيف الله بن يحيى الزهراني

الهوامش :

١ - المؤرخ العربي، بغداد ، العدد الخامس ، ص ٦٩

٢ - باراكلو : الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية ، ترجمة صالح العلي ، ص١٠ ، ١١ .

٣ - المرجع نفسه : ص ٧٠ ، ٧١ .

٤ - المؤرخ العربي ، ع ٥ / ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ .

٥ - بحوث تاريخية ، اصدار الجمعية التاريخية السعودية الرياض ، ١٤٠٩/ ١٤١٠هـ ، العدد الثاني ، ص ٢١٣ .

٦ - المرجع نفسه ، ع ٢ ، ص ٢٢٥ .

٧ - المؤرخ العربي ، ع ٥ ، ص ٧٤ .

٨ - المرجع نفسه ، ع ٥ ، ص ٨٠ .



دار للطباعة والنشر
جدة تليفون ٦٧٠٠٣٣٣